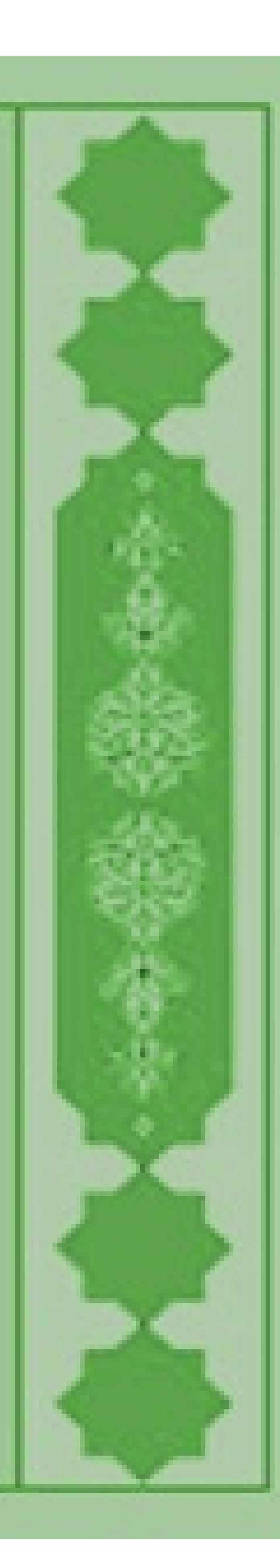
الانسان
بين الجبر
و التفويض

جعفر السبحانی




بسم الله الرحمن الرحیم

الانسان بين الجبر و التفويض

كاتب:

آیت الله العظمی جعفر سبحانی (دام ظله)

نشرت فی الطباعة:

موسسه‌الامام‌الصادق (ع)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الانسان بين الجبر و التفويض

اشارة

سرشناسه : سبحانی تبریزی جعفر، - ۱۳۰۸
عنوان و نام پدیدآور : الانسان بين الجبر و التفويض تاليف جعفر السبحانی مشخصات نشر : قم موسسه الامام الصادق عليه‌السلام ۱۴۲۴ق = ۱۳۸۲.
مشخصات ظاهری : ۱۰۰ ص ۱۱/۵ X۱۶س‌م فروست : (سلسله المسائل العقائديه۲)
شابک : ۹۶۴-۳۵۷-۱۱۸-۱۳۵۰۰ریال ؛ ۹۶۴-۳۵۷-۱۱۸-۱۳۵۰۰ریال يادداشت : عربی
موضوع : جبر و اختيار
شناسه افزوده : موسسه امام صادق ع
رده بندی کنگره : BP۲۱۹/۶/س۲الف۸ ۱۳۸۲
رده بندی ديويی : ۲۹۷/۴۶۵
شماره کتابشناسی ملی : م۸۲-۳۶۰۰

مقدّمة المؤلف

مقدّمة المؤلف بسم الله الرحمن الرحيم الحمد للّه الذى حسرت عن معرفة كماله، عقول الأولياء، وعجزت عن إدراك حقيقته أفهام العلماء، واحد لا شريك له، لا يُشبهه شيء لا فى الأرض ولا فى السماء ;والصلاة والسلام على نبيّه الخاتم، أفضل خلائقه وأشرف سفرائه، وعلى آله البررة الأصفياء، والأئمّة الأتقياء. أمّا بعد فغير خفىّ على النابه انّ للعقيدة ـ على وجه الإطلاق ـ دوراً فى حياة الإنسان أيسره انّ سلوكه وليد عقيدته ونتاج تفكيره، فالمواقف التى يتّخذها تمليها عليه عقيدتُه، والمسير الذى يسير عليه، توحيه إليه فكرته. إنّ سلوك الإنسان الذى يؤمن بإله حىّ قادر عليم، يرى ما يفعله، ويحصى عليه ما يصدر عنه من صغيرة وكبيرة، يختلف تماماً عن سلوك من يعتقد أنّه سيّد نفسه وسيّد الكون (۴)

الذى يعيش فيه، لا يرى لنفسه رقيباً ولا حسيباً. ومن هنا يتّضح أنّ العقيدة هى ركيزة الحياة، وأنّ التكاليف والفرائض ـ التى نعبّر عنها بالشريعة ـ بناء عليها، فالعقيدة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالروح والعقل، فى حين ترتبط الشريعة والأحكام بألوان السلوك والممارسات. ولأجل هذه الغاية قُمنا بنشر رسائل موجزة عن جوانب من العقيدة الإسلامية، وركّزنا على أبرز النقاط التى يحتدم فيها النقاش. وبما أنّ لكلّ علم لغته، فقد آثرنا اللغة السهلة، واخترنا فى مادة البحث ما قام عليه دليل واضح من الكتاب والسنّة، وأيّده العقل الصريح ـ الذى به عرفنا اللّه سبحانه وأنبياءه ورسله ـ حتّى يكون أوقع فى النفوس، وأقطع لعذر المخالف. جعفر السبحانى قم ـ مؤسسة الإمام الصادق ـ عليه السَّلام ـ

الإنسان بين الجبر والتفويض

الإنسان بين الجبر والتفويض إنّ للشخصية الإنسانية أبعاداً مختلفة، ومن تلك الأبعاد كون الإنسان فاعلاً مختاراً فيما يفعل أو يترك، أو كونه مسيّراً قد رُسِم مصيرُ حياته بيد القَدَر أو عامل آخر ـ كما سيوافيك ـ ولا محيص له إلّا السير فى الطريق الذى خُطّ له. مع انّ دراسة هذا البعد من أبعاد الشخصية الإنسانية دراسة مسألة فلسفية محضة يَلجها كبارُ الحكماء والفلاسفة عبْر القرون ولهم فيها آراء

وأفكار، لكنّها و فى الوقت نفسه مسألهٔ يشتاق إلى فهمها عامّهٔ الناس وقلّما وجدت فى حياهٔ (۶)

الإنسان مسألـهٔ لها تلك الميزهٔ، وفى الحقيقهٔ هى من إحدى المسائل الأربع التى يتطلّع إلى فهمها الجميع ألا وهى: ۱. من أين جاء إلى الدنيا؟ ۲. لمـاذا جاء إليها؟ ۳. إلى أين يـذهب؟ ۴. وهـل هو فى أعمـاله مخيّر أو مسـير؟ ولأجل ذلك لا يمكن تحديـد الزمن الـذى طُرِحت فيه مسألـهٔ الجبر والاختيـار، كما لا يمكن تحديـد مكانها، وإنّ باذرها هل هو إفريقى أو رومىّ أو هنـدى أو صـينى أو إيرانى؟ وعلى كلّ تقـدير فللمسألـهٔ جـذور عميقـهٔ فى تاريـخ حياهٔ الإنسان. ثمّ إنّ الآراء المطروحـهٔ فى المسألهٔ تدور على محورين: ۱. الإنسان مسيّر لا مخيّر، مجبور فى أفعاله وليس بمختار. ۲. الإنسان مخيّر فى أفعاله لا مسيّر، مختار فيها وليس (۷)

بمجبور. ولكلّ من الرأيين قائل ودليل يعضد رأيه، إلاّ أنّ المهم هو الوقوف على الرأى السائد حين نزول الوحى على النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ ، فالسير فى الحديث والتاريخ يُثبت بأنّ الرأى العام فى الجزيرهٔ العربيهٔ قبل البعثهٔ كان هو الجبر، وقد بقيت رسوبات تلك الفكرهٔ بعـد البعثـهٔ وحتى رحيل النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ . ولأجل تبيين هـذا الجانب من جوانب البحث نعقـد الفصـل التالى. (۸)

۱- الجبر على مسرح التاريخ الإسلامى

۱- الجبر على مسـرح التاريـخ الإسـلامى إنّ التأمّل فى عقائـد العرب فى الجاهليـهٔ يُثبت بأنّهم أو طائفـهٔ منهم كانوا معتقـدين بالتقـدير السالب للاختيار عن الإنسان، يقول سـبحانه: (سَيَقُولُ الّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللّهُ ما أَشْرَكْنا وَلا آباؤُنا وَلا حَرَّمنا مِنْ شَىء كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتّى ذاقُوا بَأْسَنا قُل هَل عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْم فَتُخرِجُوهُ لَنا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاّ الظنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلاّ تَخرُصُون).(۱) وليست الآيهٔ، آيهٔ وحيدهٔ تكشف عن عقيدهٔ العرب فى العصر الجاهلى حول فعل الإنسان، بل هناك آيهٔ أو آيات ــــــــــــــــــ

۱ – الأنعام:۱۴۸. (۹)

أُخرى تشير إلى عقيدتهم، يقول سبحانه: (وَإِذا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيها آباءنا وَاللّهُ أَمرنا بِها قُلْ إِنَّ اللّهَ لا يأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ أَتَقُولُونَ عَلى اللّه ما لا تَعْلَمُون).(۱) فقولهم:(واللّهُ أَمَرنا بِها)إشارهٔ إلى أنّ عبادهٔ الوثن أمر قدّره اللّه سـبحانه وليس لنا الفرار ممّا قُضـى به، واللّه سبحـانه يردّ على مزعمتهم بقوله:(قُلْ إِنّ اللّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ أَتَقُولُونَ عَلى اللّه ما لا تَعْلَمُون)، فلا يأمر بها ولا يقـدِّرها بالمعنى الـذى تـدّعون أى السالب للاختيار. وأمّا جـذور هـذه العقيدهٔ وانّها كيف تسـرّبت إلى الجزيرهٔ العربيهٔ حتّى سادت على المشـركين فقد ظلّت مجهولهٔ؟ والعجب انّ رسوبات فكرهٔ الجبر بقيت بعد بزوغ نجم الإسلام وسادت حال حياهٔ الرسول وبعد رحيله أيضاً. روى الواقدى فى مغازيه عن أُمّ الحارث الأنصاريهٔ وهى تحدِّث عن فرار المسلمين يوم حنين قالت: مرّ بى عمر ــــــــــــــــــ

۱ – الأعراف:۲۸. (۱۰)

ابن الخطـاب منهزماً، فقلت: ما هـذا؟ فقال عمر: أمر اللّه.(۱) و معنى ذلك انّه لم يكن دور للغزاهٔ من المسـلمين فى هزيمـهٔ حنين، وقد كانت الهزيمـهٔ تقـديراً قطعياً من اللّه و لم يكن محيص من التسـليم امامه. وهذا هو نفس الجبر لا يفترق عنه قيد شـعرهٔ، مع أنّه سـبحانه يقول: (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِى مَواطِن كَثيرهْ وَيَومَ حُنَين إِذْ أَعْجَبَتكُم كَثْرَتُكُم فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيئاً وَضاقَت عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِما رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرين).(۲) وقـد أشـار سـبحانه إلى عامل الهزيمـهٔ وأنّه أمران: الأوّل: إعجابهم بكثرتهم، فاعتمـدوا على الكثرهٔ، مكان الاعتماد على اللّه سبحانه أوّلاً وعلى قواهم الذاتيهٔ ثانياً كما يقول: (إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرتكُم). الثانى: الانسحاب عن ساحهٔ الحرب بدل الثبات، كما

۱ – المغازى:۳/۹۰۴ .

۲ – التوبهٔ:۲۵ . (۱۱)

يقول سـبحانه(ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرين) مع أنّهم أُمروا بالثبـات كمـا يقول تعالى: (يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا إذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحفاً فَلا تُوَلُّوهُم

الأدْبار).(۱) والعجب انّ هذه العقيدة(القدر السالب للاختيار) كانت سائدة بعد رحيل الرسول وباقية فى اذهان الصحابة، وهذا السيوطى ينقل عن عبد اللّه بن عمر أنّه جاء رجل إلى أبى بكر، فقال: أرأيت الزنا بقدر؟ قال: نعم، قال: فإنّ اللّه قدّره علىّ ثمّ يعذّبنى؟ قال: نعم يا بن اللخناء أما واللّه لو كان عندى إنسان أمرته أن يجأ أنفك.(۲) لقد كان السائل فى حيرة من أمر القدر فسأل الخليفة عن كون الزنا مقدَّراً من اللّه أم لا ـ؟ فلما أجاب الخليفة بنعم، استغرب من ذلك، لأنّ العقل لا يسوّغ تقديره سبحانه شيئاً سالباً للاختيار عن الإنسان فى فعله أو تركه ثمّ تعذيبه عليه، ولذلك قال: «فانّ اللّه قدّره علىّ ثمّ يعذبنى؟!» فعند ذاك أقرّه الخليفة على ما استغربه، وقال: نعم يابن اللخناء. ______________

۱ – الأنفال:۱۵.

۲ – تاريخ الخلفاء للسيوطى:۹۵. (۱۲) استغلال الأُمويّين للقدر إنّ طبيعة الحكومات الاستبدادية هى تبرير كلّ ما يسود المجتمع من الفقر والظلم والاعتساف بعامل خارج عن دائرة حكمهم كقضاء اللّه سبحانه وقدره حتّى لا ـ يعترض عليهم معترض. ومن هنا وجد التفسيرُ الخاطئ للدين طريقَه إلى المجتمع الحاضر وانّه وسيلة لدعم الجهاز الحاكم، وقد استغل الشيوعيون والعلمانيُّون هذه الفكرة لإبعاد الناس عن الدين ولكنّهم خلطوا سهواً أو عمداً بين كون الدين الواقعى ـ الذى أُلهم على قلوب الأنبياء ـ الّذى لا يكون مسانداً للجهاز الظالم ـ و بين التفسير الباطل للدين، إذ كيف يكون الدين مسانداً للسلطات الزمنية الجائرة مع أنّه يأمر بالعدل و الاحسان وينهى عن الظلم والفحشاء؟! يقول إمام المسلمين أمير المؤمنين على بن أبى طالب ـ عليه السَّلام ـ راوياً عن النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ : «لن تقدس أُمّة لا يؤخذ للضعيف فيها حقّه من القوى غير (۱۳)

متعتع».(۱) ۱. انّ الأمويين استغلّوا الجبر لإرساء قواعد حُكْمِهم حتى أنّ معاوية لمّا نصب ولده يزيد خليفة للمسلمين وسلّطه على رقاب المسلمين اعترضت عليه أُمّ المؤمنين عائشة، فأجابها معاوية: إنّ أمر يزيد قضاء من القضاء وليس للعباد الخيرة من أمرهم.(۲) ۲. وبهذا أيضاً أجاب معاوية عبد اللّه بن عمر عند ما سأل معاوية عن تنصيبه يزيدَ للحكم؟ بقوله: إنّى أُحذرك أن تشق عصا المسلمين وتسعى فى تفريق ملئهم وأن تسفك دماءهم، وانّ أمر يزيد قد كان قضاءً من القضاء وليس للعباد خيرة من أمره.(۳) ۳.وقد سرى هذا الاعتذار إلى غير الأمويّين من الذين ساروا فى ركب الخلفاء، فهذا هو عمربن سعد بن أبى وقاص، ______________

۱ – نهج البلاغة، قسم الرسائل برقم۵۳.

۲ – الإمامة والسياسة لابن قتيبة :۱/۱۶۷.

۳ – الإمامة والسياسة:۱/۱۷۱. (۱۴)

قاتل الإمام الشهيد الحسين ـ عليه السَّلام ـ فلمّا اعترض عليه عبد اللّه بن مطيع العدوى بقوله: اخترت همدَان والرىَ على قتل ابن عمك؟! فقال عمر: كانت أُمور قُضِيتْ من السماء و قد أعذرت إلى ابن عمى قبل الوقعة فأبى إلاّ ما أبى.(۱) ۴. وقد برّرتْ عائشة أُم المؤمنين خلافَها مع على ـ عليه السَّلام ـ بالقضاء والقدر، على ما رواه الخطيب عن أبى قتادة فعندما ذكر قصة الخوارج فى النهروان لعائشة أجابته أُمّ المؤمنين بقولها: وما يمنعنى ما بينى وبين علىّ أن أقول الحق، سمعت النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ يقول: «تفترق أُمّتى على فرقتين تمرق بينهما فرقة محلّقون رؤوسهم، مخفّون شواربهم، أزرهم إلى أنصاف سوقهم، يقرأون القرآن لا يتجاوز تراقيهم يقتلهم أحبهم إلىّ، وأحبهم إلى اللّه»، قال: يا أُمّ المؤمنين فأنت تعلمين هذا فلم كان الذى منك؟! قالت: يا أبا قتادة وكان أمر اللّه قدراً مقدوراً، وللقدر أسباب!!.(۲) ______________

۱ – طبقات ابن سعد:۵/۱۴۸، ط بيروت.

۲ – تاريخ بغداد:۱/۱۶۰. (۱۵) التقدير المساوى للجبر عقيدة مستوردة ومن العوامل التى صارت سبباً لتركيز فكرة الجبر بين المسلمين هى الأساطير التى حاكها الأحبار والرهبان ونشروها بين المسلمين حول القضاء والقدر، فهذا هو حماد بن سلمة يروى عن أبى سنان قال: سمعنا وهب بن منبه، قال: كنتُ أقول بالقدر حتّى قرأت بضعة وسبعين كتاباً مِنْ كتب الأنبياء فى كلّها: من جعل لنفسه شيئاً من

المشيئة فقد كفر، فتركتُ قولى.(۱) والمراد من القدر فى قوله: «كنت أقول بالقدر» ليس القول بتقدير اللّه سبحانه وقضائه، بل المراد هو القول بالاختيار والمشيئة للعبد كما يظهر من ذيل كلامه. وهذا النقل يعطى انّ القول بنفى الاختيار والمشيئة للإنسان، قد تسرّب إلى الأوساط الإسلامية عن طريق هذه الجماعة وعن الكتب الإسرائيلية أفيصحّ بعد هذا أن نعد ــــــــــــــــ

۱ – ميزان الاعتدال:۴/۳۵۳. (۱۶)

القول بنفى المشيئة للإنسان عقيدة جاء بها القرآن والسنّة النبوية، ونكفّر من قال بالمشيئة له ولو مشيئة ظلية تابعة لمشيئته سبحانه، ونقاتل فى سبيل هذه العقيدة؟! حديث «الفراغ من الأمر» بدعة يهوديّة يجد الباحث فى ثنايا الأحاديث وكلمات المحدّثين قولهم:«إنّ اللّه سبحانه قد فرغ من الأمر»، أى قد فرغ سبحانه من أمر التدبير والتكوين فلا يتغيّر ما قُدّر، ولا يتبدّل ما قضى به، وهو بظاهره نفس الجبر، إذ معناه انّه لا محيص للإنسان إلاّ العمل بما قُدّر و قضى ولا يتمكّن من تغييره وتبديله، وبالتالى لا خيرة للإنسان فى حياته فيما يختار أو يترك مع أنّه سبحانه يحكم على خلافه ويقول: (وَمَا كانَ لِرَسُول أنْ يَأْتِى بِآيَة إلاّ بِإذْنِ اللّه وَلِكلِّ أَجل كتاب * يَمْحُوا اللّهُ ما يَشاءُ ويُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتاب).(۱) وهل يمحو إلاّ ما أثبتَ؟! فلو كان قد فرغ من الأمر فما ــــــــــــــــ

۱ – الرعد:۳۸ـ ۳۹. (۱۷)

معنى محو ما أثبته وقدّره؟ كيف واللّه سبحانه مبسوط اليد لا يكبله تقديره وقضاؤه، فله السيادة على القضاء والقدر دونهما عليه؟! وهذا هو الثعلبى ينقل عن مجاهد قال: قالت قريش: «حينما أنزل (ما كان لرسول أن يأتى بآية إلاّ بإذن اللّه) ما لنا نراك يا محمد تملك من شىء وقد فرغ من أمره، فأنزلت هذه الآية تخويفاً ووعداً لهم، أى إن يشأ أحدثها من أمر ـ إلى أن قال: ـ ويُحدث فى كلّ رمضان فى ليلة القدر ويمحو ويُثبت ما يشاء من أرزاق الناس ومسائلهم وما يؤتيهم ويُنسأهم له.(۱) وقد تطرق عن طريق تلامذة الاحبار والرهبان انّه سبحانه يمحو ما يشاء و يثبت إلاّ الحياة والموت والشقاء والسعادة فانّهما لا يتغيران، ونقله السيوطى عن غير واحد من ــــــــــــــــ

۱ – تفسير الثعلبى، المسمّى بالكشف والبيان:۵/۲۹۸ ; الدر المنثور:۴/۶۵۹ واللفظ للثانى. (۱۸)

الصحابة والتابعين الذين كانوا يحسنون الظن باحبار اليهود ورهبان النصارى. أخرج ابن جرير وابن المنذر عن مجاهد فى قوله تعالى: (يَمْحُوا اللّه ما يَشاء وَيُثبت...)قال: إلاّ الحياة والموت، والشقاء والسعادة فانّهما لا يتغيّران.(۱) أخرج الطبرانى فى الأوسط وابن مردويه بسند ضعيف عن ابن عمر: سمعت رسول اللّه ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ يقول: (يَمْحُوا اللّه ما يَشاءُ وَيُثْبِت): إلاّ الشقوة والسعادة والحياة والموت.(۲) وقد روى عن ابن عباس: قال: (يَمْحُوا اللّه ما يَشاء وَيُثبت) قال: «ذلك كلّ ليلة القدر يرفع ويخفض ويرزق» أى غير الحياة والموت والشقاوة والسعادة، فإنّ ذلك لا يزول.(۳) وأظنّ أنّ الرواية مكذوبة على لسان ابن عباس تلميذ الإمام أمير المؤمنين ـ عليه السَّلام ـ ، فإنّ الإمام ـ عليه السَّلام ـ وبيته الرفيع مجمعون ــــــــــــــــ

۱ – الدرّ المنثور:۴/۶۶۳، ۶۶۱، ۶۶۲.

۲ – الدرّ المنثور:۴/۶۶۳، ۶۶۱، ۶۶۲.

۳ – الدرّ المنثور:۴/۶۶۳، ۶۶۱، ۶۶۲. (۱۹)

على إمكان تغيير المصير حتّى السعادة والشقاء بالأعمال الصالحة والطالحة. إنّ سيادة القدر على مصير الإنسان على نحو يسلب عنه الاختيار ولا يتمكّن من تبديل ما قدّر إلى خلافه، نفس القول بالجبر وسيادته. إنّ هذا القول مرفوض عقلاً، وكتاباً، فإنّ إطلاق الكتاب فى المحو والإثبات، يعمّ الجميع حتّى الموت والحياة والسعادة والشقاء. إنّ قوم يونس قد غيّروا مصيرهم السيّئ بالتوبة والعمل الصالح. يقول سبحانه: (فَلَولا كانَتْ قَرِيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إيمانُها إلاّ قَومَ يُونُسَ لمّا آمَنُوا كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذابَ الخِزْىِ فِى الحَياةِ الدُّنيا وَمَتَّعْناهُمْ إلى حين).(۱) ويدلّ على ذلك أيضاً الروايات المتضافرة. أخرج ابن أبى شيبة فى «المصنّف» وابن أبى الدنيا فى ــــــــــــــــ

۱ – يونس:۹۸. (۲۰)

الدعاء، عن ابن مسعود ـ رضـى اللّه عنه ـ قال: ما دعا عبد قطّ بهذه الدعوات إلاّ وسّع اللّه له فى معيشـته: يا ذا المن ولا يُمنُّ عليه، يا ذا الجلال والإكرام، يا ذا الطول لا ـ إله إلاّ ـ أنت، ظهر اللاجئين، وجار المستجيرين، ومأمن الخائفين، إن كنت كتبتنى عندك فى أُمّ الكتاب شقيّاً فامح عنى اسم الشقاء وأثبتنى عندك سعيداً...، ـ إلى أن قال ـ فإنّك تقول فى كتابك الذى أنزلت (يَمحُوا اللّه ما يَشاء وَيُثبت وعِندَهُ أُمّ الكتاب).(١) ——————

١ – الدر المنثور:۴/۶۶۱، و بهذا المضمون روايات أُخرى لاحظ ص ۶۶۳. (٢١)

٢– أحاديث لا تفارق الجبرَ قيد شعرة

٢– أحاديث لا تفارق الجبرَ قيد شعرة إنّ اتّفاق المحدّثين على أنّ الصحيحين وبعدهما السنن الأربع، من أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم، عاق الكثير من المحقّقين من الخوض فيهما نقداً وتمحيصاً، ولولا هذا الاتّفاق، لقام المحقّقون بالنقد والتمحيص فيما كان مخالفاً للكتاب والسنّة النبوية القطعية والعقل الصريح، وها نحن نسرد فى المقام بعض ما جاء فى الصحيحين ما لا يفارق الجبر قيد شعرة وهو إمّا مؤوّل أو موضوع على لسان الرسول ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ . ١. روى مسلم فى صحيحه عن زيد بن وهب، عن (٢٢)

عبد اللّه قال: حدّثنا رسول اللّه ـ وهو الصادق ـ أنّ أحدكم يجمع خلقه فى بطن أُمّه أربعين يوماً، ثمّ يكون فى ذلك علقة مثل ذلك، ثمّ يكون فى ذلك مضغة مثل ذلك، ثمّ يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد، فوالذى لا إله غيره إنّ أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنّة حتّى ما يكون بينه و بينها إلاّ ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإنّ أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتّى ما يكون بينه و بينها إلاّ ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها.(١) فعلى هذا لا ـ يقدر الإنسان على إضلال نفسه ولا هدايتها كما لا يقدر على أن يجعل نفسه من أهل الجنة أو النار، ولو حاول لتحصيل شىء منها ، سبقَ الكتابُ حائلاً بينه و بين إرادته، وهذا هو نفس القول بأنّ الإنسان مسيّر لا مخيّر. ثمّ إنّ الإمام النووى الشارح لصحيح مسلم نظر إلى هذه الأحاديث بعين الرضا والقبول، فلما رأى انّها لا تفارق ——————

١ – صحيح مسلم:۸/۴۴، كتاب القدر. (٢٣)

الجبر قيد شعرة حاول تأويل قوله: «فيسبق عليه الكتاب» فى كلا الموضعين، وقال: «انّ هذا قد يقع فى نادر من الناس لا أنّه غالب فيهم». ثمّ إنّ من لطف اللّه تعالى وسعة رحمته انقلابُ الناس من الشر إلى الخير فى كثرة وأمّا انقلابهم من الخير إلى الشر ففى غاية الندور ونهاية القلة، وهو نحو قوله تعالى: «إنّ رحمتى سبقت غضبى وغلبت غضبى».(١) يلاحظ عليه أوّلاً: بانّ حمل أحد الطرفين على الغلبة والطرف الآخر على وجه الندرة قسمة ضيزى فانّ ظاهر الحديث أنّ سبق الكتاب فى الطرفين سيّان. وثانياً: انّ الحديث ظاهر فى غلبة القدر على عمل الإنسان ونيته فربما يجعل الصالح طالحاً والطالح صالحاً، ولا صلة له بسبق رحمته على غضبه والظاهر انّ هذه الأحاديث حيكت على وفق عقائد اليهود الذين ذهبوا إلى انّ يده سبحانه مغلولة فبعد ما قضى، لا ـ يتمكن من تغييره، غُلَّت

——————

١ – شرح صحيح مسلم للنووى:۱۶/۴۳۵. (٢۴)

أيديهم. ٢. وروى عنه أيضاً حذيفة بن أسيد يبلغ به النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ قال: «يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر فى الرحم بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة فيقول: يا رب أشقى أو سعيد؟ فيكتبان، فيقول: أى رب أذكر أو أُنثى؟ فيكتبان، ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه، ثمّ تُطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص».(١) فعلى هذا فالصحف الأُولى التى قُدِّر فيها مصير الإنسان مطوية لا تفتح فلا يزيد فيها شىء ولا ينقص، وهذا لا يختلف عن الجبر قيد شعرة. إنّ تفسير القضاء والقدر ـ اللّذين هما من المعارف العليا فى الإسلام ـ بالمعنى الوارد فى الرواية يجعل الإنسان مكتوف اليدين فى خضمِّ الحياة فيسلب عنه كلّ سعى فى طريق السعادة إذا كتب

من أهل الشقاء أو فى طريق الشقاء إذا كتب من أهل السعادة. ___________

١ – صحيح مسلم:٨/۴۵، كتاب القدر. (٢۵) ٣. روى عبـد اللّه بن عمر، عن أبيه قـال: يا رسول اللّه أرأيت ما نعمل فيه أمر مبتـدع أو فيما قد فرغ منه؟ فقال: بل فيما قد فرغ منه، ياابن الخطاب وكلّ ميسـر، أمّا من كان من أهل السـعادة فإنّه يعمل للسـعادة، وأمّا من كان من أهل الشـقاء فإنّه يعمل للشـقاء. وفى رواية قال: لمّا نزلت (فمنهم شـقى و سعيد) سألت رسول اللّه ، فقلت: يا نبى اللّه فعلى مَ نعمل، على شـىء قد فرغ منه، أو على شـىء لم يفرغ منه؟ قال: بل على شـىء قد فرغ منه وجرت به الأقلام يا عمر، ولكن كلّ ميسـر لما خلق له.(١) وهذا الحديث يعرب عن أنّه قد تمّ القضاء على الناس فى الأزل وجعلهم صنفين وكلّ ميسر لما خلق له فى الأزل لا لما لم يخلق له، فأهل السـعادة ميسّرون للاعمال الصالحة فقط وأهل الشقاء ميسّرون للأعمال الطالحة فقط، وأى جبر أوضح و أبين ممّا جاء فى هذا الحديث. ___________

١ – صحيح مسلم: ٨ / ۴۵، كتاب القدر . (٢۶)

٣– مضاعفات القول بالجبر

٣– مضاعفات القول بالجبر إنّ للقول بالجبر وإنّ الإنسان مسيّر لا مخيّر، مضاعفات كثيرة، نشير إلى قسم منها ونحيل الباقى إلى مجال آخر: ١. انتفاء الغرض من بعثة الأنبياء إنّ الغرض من بعثة الأنبياء هو دعوة الناس وإرشادهم إلى معالم التوحيد ونهيهم عن الشرك فى مجال العقيـدة، وإلى محاسن الأخلاق وزجرهم عن مساويها فى مجال العمل، يقول سـبحانه: (وَلَقَـدْ بَعَثْنا فى كُلِّ أُمّة رَسُولاً أن اعْبُدوا اللّه وَاجْتَنِبُوا (٢٧) الطّاغُوت)(١)، وقال سـبحانه: (كانَ النّاسُ أُمّةً واحـدةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيّينَ مُبَشِّرينَ وَمُنْذِرين)(٢) إلى غير ذلـك من الآيـات التى تعكس الهـدف المنشود من وراء بعث الأنبيـاء، ولا يتحقّق هـذا الغرض إلاّ فى ظل كون الإنسان مخيّراً لا مسـيَّراً، فلو كان مسيّراً فكلّ إنسان كتب عليه النار، فهو يدخلها ، إذن فما هو فائدة بعث الأنبياء، فإنّ دعوة الأنبياء وعدمها بالنسبة إليه سيّان؟! وهذا من الوضوح بمكـان لا يحتاج إلى التطويل. ٢. انتفاء فائـدة المناهج التربوية التربية عبارة عن توفير أرضـيهٔ مناسـبهٔ لخروج ما هو بالقوة إلى منصّة الظهور والفعلية، وهذا كالمزارع والفلاح القائمين بتربية البذور والنباتات فيوفّران ما يحتاجان إليه فى إخراج الاسـتعداد المكنون فيهما إلى حيز الظهور والكمال، ___________

١ – النحل:٣۶.

٢ – البقرهٔ:٢١٣. (٢٨)

فليس للمربّى دور الخلق والإيجاد، بل تهيئة الظروف المناسـبة لأن يُظهر الشـىءُ كمالَه المسـتور لكى ينقلب البذر زرعاً والنبات شجراً. وعلى ضوء ذلـك فالمناهـج التربويـة فى الإنسان، شـعارها رفع المسـتوى الفكرى له وسوقه نحو الفضائل ومنعه من السـقوط فى هاوية الرذائـل، ومن المعلوم أنّ تحقّق هـذه الغايـة رهن وجود الحريـة فى الإنسان لكى يقع فى إطار التربيـة، فيسـير حسب الضوء الـذى يريه المربى، فلو كـان مسـيّراً لا ـ مخيّراً فإعمال الأساليب التربويـة يُصبح أمراً لغواً غير مؤثر. ٣. تكـذيب الكتـاب العزيز إنّ من سبر الكتاب العزيز وتجرد عن عامّـة الرواسب يجـد انّ القرآن يصوّر الإنسان فاعلاً مختاراً يخاطبه فينصـحه تارة، ويأمره أُخرى، ويزجره ثالثاً، ويعده رابعاً ويوعده خامساً، إلى غير ذلك من علائم الاختيار وآثاره، ونذكر منها (٢٩)

مايلى: ١. قوله سـبحانه: (إنّا هـديناهُ السَّبيل إمّا شاكراً وَإمّا كفوراً). ٢. قوله سـبحانه: (وَقُـلِ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شـاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن ْ شاءَ فليَكْفُر إنّـا أَعْتَـدْنا للظّالِمينَ ناراً أَحاطَ بِهِم سُرادِقُها وَإن يستغيثُوا يُغاثُوا بِماء كالمُهْل يَشْوِى الوُجُوهَ بئسَ الشَّرابُ وَساءَتْ مُرتَفقاً).(١) وللّه در الشهيد السعيد زين الدين العاملى حينما أنشد:

لقـد جاء فى القرآن آيـةُ حكمةُ * تدمِّر آياتِ الضـلال ومن يُجبر وتخبر انّ الاختيار بأيدينا * فمن شاء فليؤُمن و من شاء فليكفر ٣. قال سبحانه: (مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَساءَ ___________

۱ – الكهف:۲۹. (۳۰) فَعَليها وَما ربّكَ بِظَلّامٍ لِلْعَبيد).(۱) ۴ . قال سبحانه: (كُلّ امرى بِما كَسَبَ رَهين).(۲) ۵. قال سبحانه: (لِكَلِّ امرى مِنْهُمْ مَا اكتَسَبَ مِنَ الإِثْم).(۳) ۶. قال تعالى: (وَأَنْ لَيسَ للإِنْسانِ إِلاّ ما سعى * وأَنَّ سَعْيَهُ سَوفَ يُرى * ثُمّ يُجزاهُ الجزاءَ الأوفى).(۴) إلى غير ذلك من الآيات الصريحة فى أنّ الإنسان مخيّر فيما يختار ويترك وليس فى حياته عاملُ ضغط باسم القدر والقضاء أو غيره، يسلب عنه الاختيار، وأمّا الآيات التى ربّما يستشم منها الجبر، ككون الهداية والضلال بيد اللّه سبحانه فسيوافيك تفسيرها . ۴. الجبرى فى ساحة الحياة، اختيارىّ كلّ من رفع راية الجبر واتّسم به فى الحياة، وبنى عليه ــــــــــــــــــــــ

۱ – فصلت:۴۶.

۲ – الطور:۲۱.

۳ – النور:۱۱.

۴ – النجم:۳۹ـ۴۱. (۳۱)

منهجاً فلسفياً، فهو يغالط نفسه، فترى أنّه إذا ظُلم وغصب حقّه، ينـدِّد بالظالم ويرفع شكواه إلى المحاكم حتّى يأخذ الحاكم حقّه من الغاصب والظالم، فلو لم يكن لخصمه خيرة واختيار فما معنى التنديد والتعرض له؟ وهذا يدلّ على أنّه يصوّر الخصم المخالف إنساناً مختاراً غصب ما يملكه عن اختيار وله أن يقوم بردّه إلى صاحبه. وبالجملة كلّ من رفع عقيرته بالجبر فهو حين الجدال والسجال وإن كان جبريّاً ولكنّه فى حياته الاجتماعية اختيارى على ضد الجبر ولا يقبل أىّ عذر لخصمه!! ۵. الجبر واجهة لنيل المزيد من الحرية إنّ من دوافع القول بالجبر هو اشباع الميول والغرائز الحيوانية فى الحياة، فالجبرى يطلب المزيد من الحرية من وراء ادّعائه الجبر، ويتستر تحت واجهة الجبر ليخلِّص نفسه من عهدة التكليف والمسؤولية، ففى الحقيقة هو لا يؤمن بالجبر (۳۲)

كمنهج للحياة، بل يعتقد بالحرية فيها ليعيش فيها وفقاً لما تمليه عليه غرائزه الجامحة. إلى هنا تم الحديث عن بعض مضاعفات الجبر.

۴– شبهات وحلول

۴– شبهات وحلول ثمّ إنّ للقائلين بالجبر شبهات مختلفة ربما يغتر بها السذج من الناس، فها نحن نستعرض تلك الشبهات ونضع أمام القارئ حلولاً لها على نحو لا يبقى لمشكك شك ولا لمريب ريب، فنقول: الشبهة الأُولى ۱. مثلث الشخصية إنّ فعل الإنسان تعبير عن شخصيّته المكوّنة بأُصول ثلاثة يعبّر عنها بمثلث الشخصية وإن كانت الأضلاع فى بنائها ومقدار تأثيرها غير متساوية، ولكن كلّ ضلع يؤثر فيها (۳۴)

تأثيراً قطعيّاً، وأمّا أضلاعها: أ. ناموس الوراثة. ب. الثقافة. ج. البيئة. أمّا الأوّل: فهو أمر اعترف به العلم والتجربة ويلمسه كل إنسان واع، فالولد كما يرث الصفات الجسمانية للوالدين كذلك يرث صفاتهما الخُلقية وينشأ عليها، يقول الشاعر: ينشا الصغير على ما كان والده * انّ الأُصول عليها ينبت الشجر فاللبنة الأُولى فى بناء الشخصية الصالحة أم الطالحة هى ما يرث الولد من الوالدين من الفضائل والرذائل، وقد كشف العلم أنّ الجينات الموجودة فى النطفة الإنسانية سبب طبيعى وعامل لانتقال هذه الصفات من الوالدين إلى الطفل. وأمّا الثانى فيأتى دوره بعد دور الوراثة حيث إنّ المعلّم يمثِّل المدرسة التربوية الثانية بعد مدرسة الأبوين، ولهذا يكون (۳۵)

دور التعليم فى مصير الطفل دوراً حسّاساً فى قلبه. وأمّا الثالث فيأتى دوره إذا أتمّ دراسته وبدأ ممارسة العمل، فعندئذ يتأثر فى سلوكه وخُلقه بالبيئة التى يعيش فيها، فإذا كانت العوامل الثلاثة متجانسة فى الغاية والأثر، يقع الكلّ فى طريق تكوين الشخصية الواحدة بلا صراع بينها ولا نزاع، وأمّا إذا كان بينها نزاع وصراع فى الغاية والدعوة، فتكون النتيجة من حيث السلوك، تابعة لأقوى العوامل وأرسخها فى الروح وهو يختلف حسب اختلاف تأثير الأوفر سهماً من هذه، ولأجل ذلك يوجد من يختار سلوك الآباء كما يوجد من يتركه و يقتفى أثر الثقافة أو البيئة. وعلى كلّ تقدير فالإنسان مختار صورة، لكنّه مسيّر سيرة يخط مصيره هذه العوامل أو أقواها تأثيراً. يلاحظ عليه: أوّلاً: بأنّ ما ذكر من تأثير العوامل الثلاثة فى بناء الشخصية أمر لا غبار عليه، إنّما الكلام فى كونها علّة تامّة أو معدّات

تُوجِد أرضيۀ لنمو مقتضاها، ولا تُوجِدُ حتميۀ، غير قابلۀ للتغيير: (۳۶) أمّا العامل الأوّل فلا شكّ فى تأثيره، وقد قال سبحانه: (وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِى خَبُثَ لا يَخْرُجُ إلا نَكِداً).(۱) وفى الآيات والروايات تصريحات وإشارات إلى ذلك، لكن أثرها بين غير قابل للتغيير، كالبُله والحمق والبلادۀ، وبين قابل له فى ظلّ عوامل تربويۀ، ولأجل ذلك ربما يكون الولد المتولّد من أبوين بارّين، خائناً وجانياً، كما ربما يكون الولد المتولّد من أبوين طاغيين، إنساناً صالحاً مطيعاً، والأوّل كولد نوح، والثانى كعمر بن عبد العزيز الأموى. ومثله العامل الثانى، فليس عاملاً حتمىّ الأثر وقطعىّ النتيجۀ، فربّما يسعى الوالدان، لتغيير ما أوجده التعلّم من الآثار الطيّبۀ أو الخبيثۀ. ولا يقلُّ عنه العامل الثالث، فقد أثّرت البيئۀ الفاسدۀ على امرأۀ نوح وامرأۀ لوط، فأفسدتهما(۲) وفى الوقت نفسه

---

۱ – الأعراف:۵۸.

۲ – لاحظ سورۀ التحريم، الآيۀ ۱۰. (۳۷)

بقيت فى بيت نوح عدّۀ على صلاحهم وفلاحهم. فهذه العوامل بأجمعها معدّات، لا علّۀ تامّۀ فى بناء الشخصيۀ الحتميۀ غير القابلۀ للتغيير. ثانياً: أنّ العوامل المكوِّنۀ للشخصيۀ الإنسانيۀ لاـ تنحصر فى العوامل الثلاثۀ المذكورۀ التى اختارها المادى، لأنّها تناسب ما يبتغيه، كيف وانّ هناك أبعاداً روحيۀ للإنسان وأحاسيس خاصۀ، توحى إليه خير الحياۀ وتدفعه إليها، بحماس، وإن لم يكن علّۀ تامۀ أيضاً فى التخطيط، وهى عبارۀ عن الإدراكات النابعۀ من داخل الإنسان وفطرته من دون أن يتدخل فى الإيحاء عامل خارجى، كإحساسه بالجوع والعطش، ورغبته فى الزواج فى سنين معيّنۀ، والاشتياق إلى المال والمنصب فى فترات من حياته، وميله إلى ما هو حسن بالذات وهروبه عمّا هو قبيح كذلك، كالإحسان والأمانۀ والوفاء بالميثاق، وفى مقابله الظلم، والخيانۀ، ونقض العهد.تلك المعارف ـ و إن شئت سمّيتها بالأحاسيس ـ تنبع من ذات الإنسان وأعماق وجوده. (۳۸) الشبهۀ الثانيۀ أفعال الإنسان فى إطار القضاء والقدر القدر بمعنى انّه سبحانه يقدّر وجود الشىء ويحدّده كمّاً وكيفاً و زماناً ومكاناً إلى غير ذلك من الخصوصيات الحافّۀ بالشىء قبل تحقّقه وايجاده. هذا هو التقدير، وأمّا القضاء فهو حكمه القطعى بتحقّق ذلك الشىء المقدّر فى ظرفه. هذا حسَب أُصولنا وأمّا على أُصول غيرنا، «فالقضاء» هو إرادته سبحانه الأزليۀ، «والقدر» هو ايجاد الشىء على قدر مخصوص كما سيوافيك.(۱)

---

۱ – لاحظ ص ۶۴. (۳۹) فقد أخذوا من القدر، المعنى العينى وغفلو عن معناه العلمى، فالتقدير منه علمى قبل الايجاد، ومنه عينى معه. والتقدير والقضاء بهذا المعنى يشمل كلّ ما فى الكون من الموجودات الممكنۀ من السماء والأرض وما فيها حتّى الإنسان وجوده وفعله. وإن أردنا أن نشبه المعقول بالمحسوس فنقول: التقدير والقضاء أشبه بعمل الخياط عندما يأخذ قياسات الثوب، ثمّ يشرع بخياطته ولولاـ ذلك لتعسّر عليه الخياطۀ. ما هو محط النزاع فى المقام؟ إنّ محطّ النزاع فى القضاء والقدر، هو أفعال الإنسان، التى يترتّب عليها الثواب والعقاب، ويحمد أو يذمّ، فهل وقوعها فى إطار القضاء والقدر يسلب عنه الاختيار ويسود عليها، الجبر والحتم، أو لا؟! وأمّا ما وراء ذلك من الأُمور الكونيۀ سواء أكان له (۴۰)

صلۀ بحياۀ الإنسان وأفعاله أم لا، فخارج عن محط النزاع، فالقول بسيادۀ الجبر عليه، نظر إلى الخصوصيات الكامنۀ فى وجوده، تعبير واضح عن واقع وجوده مثلًا. ۱. انّ حركۀ الشمس والقمر وما بينهما وفوقهما من السيارات والكواكب والمجرّات ، حركات جبريۀ لأنّه سبحانه قدّر وجودها، وحركاتها بهذه الخصوصيۀ وقضى عليها به ، يقول سبحانه: (وَسَخَّر لَكُمُ اللَّيلَ والنَّهارَ والشَّمسَ والْقَمَر والنُّجُومُ مُسخَّراتٌ بِأمْرِهِ إنَّ فى ذلكَ لآيات لِقَوْم يَعْقِلُون)(۱) فالجميع فواعل، تسخريۀ غير شاعرۀ بأفعالها. ۲. ما يقوم به النحل والنمل من الأفاعيل العجيبۀ، المحيّرۀ للعقول حركات تسخريۀ، يقوم به عن شعور، ولكن لا بحريۀ واختيار فقد كتبت عليهما بقلم القضاء ان يتخذ من الجبال بيوتاً و الشجر وممّا يعرشون يقول سبحانه حاكياً عن القضاء المحتوم على النحل:(وأوحَى ربّك إلى النَّحلِ أنِ

---

۱ – النحل:۱۲. (۴۱) اتَّخذى مِنَ الجِبال بُيوتاً وَمِنَ الشَّجرِ وَمِمّا يَعرِشُونَ * ثمّ كُلِى مِنْ كِلّ الثَّمَراتِ فَاسلُكى سُبُلَ ربّكِ ذُلُلًا يَخْرجُ مِنْ بُطونها شَرابٌ مُختلِفٌ أَلوانُهُ فيهِ شِفاءٌ لِلنّاسِ إنّ فى ذلكَ لآيةً لِقَوم يَتفكّرونَ.(۱) فالنحل ذاته ووجوده وعمله وصنعه واقع فى إطار التقدير و القضاء والنظام السائد على ذلك، هو سيادة الجبر عليه وأشباهه. ۳. انّ خلقة الإنسان ونشوءه من النطفة إلى العلقة، إلى المضغة إلى العظام إلى غير ذلك ممّا يجرى عليه إلى أن يولد وينمو و يشبّ و يشيب، ويموت كلّها واقع فى إطار التقدير والقضاء، لا خيار للإنسان فيه، شاء أم لم يشأ، فالقول بسيادة الجبر عليه فى هذه المرحلة تعبير واقعى، لا ينافى حكم العقل والشرع. ۴. انّ ما يواجهه الإنسان فى حياته، ممّا يبتلى به غير مريد به كالطوفان الجارف الذى يكتسح مزرعته، والسيل ______________

۱ – النحل: ۶۸ ـ ۶۹. (۴۲)

العارم الذى يهدم منزله و بيته، والزلزال الشديد، الذى يزعزع بنيانه وبالتالى يخسر ويتضرر، كلّها بقدر من اللّه سبحانه لا يُلام بها الإنسان ولا يذمّ وهو أيضاً كسوابقه خارج عن محطّ البحث. فالذى تدور عليه رحى النزاع والدراسة، ما يصدر عن الإنسان من الأفعال التى فى وسعه تركها أو فعلها، فهل وقوعها فى إطار التقدير يجرّنا إلى القول بالجبر، أو لاصلة بين القول بالقضاء والقدر، واستنتاج الجبر منه؟ وهذا موضوع بحثنا ودراستنا. إنّ كثيراً من الناس زعموا انّ القول بالقضاء والقدر يضادّ كون الإنسان مخيراً، وقد كان ذلك الزعم سائداً فى عصر الإمام أمير المؤمنين حيث أقبل شيخ إلى الإمام على ـ عليه السَّلام ـ عند منصرفه من صفين فقال: أخبرنا عن مسيرنا إلى أهل الشام، أبقضاء اللّه وقدره؟ فقال: «أجل يا شيخُ ما علَوتُم من تلْعة ولا هبطتم من واد إلاّ بقضاء من اللّه وقدره» فقال الشيخ: عند اللّه احتسب (۴۳)

عنائى يا أمير المؤمنين.(۱) فقال أمير المؤمنين ـ عليه السَّلام ـ :«يا شيخ، فواللّه لقد عظّم اللّه لكم الأجر فى مسيركم، وأنتم سائرون، وفى مقامكم إذ أنتم مقيمون، وفى منصرفكم وأنتم منصرفون، لم تكونوا فى شىء من حالاتكم مُكْرَهين، ولا إليه مضطرّين». فقال الشيخ : فكيف لم نكن فى شىء من حالاتنا مكرهين، ولا إليه مضطرين وكان بالقضاء والقدر مسيرنا ومنقلبنا و منصرفنا؟! فقال أمير المؤمنين ـ عليه السَّلام ـ :«أتظن أنّه كان قضاءً حتماً، وقدراً لازماً، إنّه لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب، والأمر والنهى، والزجر من اللّه تعالى، وسقط معنى الوعد والوعيد، ولم تكن لائمة للمذنب، ولا مَحْمَدَة للمحسن، ولكان المذنب أولى بالإحسان من المحسن، ولكان المحسن أولى بالعقوبة من المذنب، وتلك مقالة إخوان عبدة الأوثان ______________

۱ – ومعنى هذه الجملة: انّى لم أقم بعمل اختيارى، ولأجل ذلك احتسب عنائى عند اللّه . (۴۴)

وخصماء الرحمن، وحزب الشيطان وقدرية هذه الأُمّة ومجوسها، وانّ اللّه كلّف تخييراً ونهى تحذيراً، وأعطى على القليل كثيراً، ولم يُعص مغلوباً، ولم يُطع مكرهاً، ولم يملّك مفوّضاً، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، ولم يبعث النبيّين مبشّرين ومنذرين عبثاً، ذلك ظن الّذين كفروا فويل للّذين كفروا من النار».(۱) والحديث جمع بين القول بين القدر والقضاء وكون الإنسان مخيّراً لا مسيّراً. وانّ الإيمان بالقدر، لا يجعل الإنسان مكتوف اليدين بل هو مختار غير مكرَه. ولقد بقيت الفكرة بعد رحيل الإمام على ـ عليه السَّلام ـ وتسرّبت إلى كثير من الأوساط فجعلوا القضاء والقدر من أدلّة الجبر. ولمّا كان فى القول بالقضاء والقدر وصمة الجبر، أنكرت المعتزلة وقوع الأفعال الاختيارية الصادرة عن العباد متعلّقة بالقضاء والقدر، خلافاً للأشاعرة فقد جعلوا الأفعال متعلّقاً للقضاء والقدر، فقالوا: إنّ قضاء اللّه هو إرادته الأزلية المتعلّقة ______________

۱ – الصدوق: التوحيد:۳۸۰، الحديث۲۸. (۴۵)

بالأشياء على ما هى عليه فيما لا يزال، وقدره إيجادها إيّاها على قدر مخصوص وتقدير معيّن فى ذواتها وأحوالها .(۱) أقول: لا شكّ انّ كلّ ما فى الكون من كبير وصغير وجليل ودقيق من الجواهر والأعراض كلّها واقعة فى إطار القدر والقضاء، غير أنّ استنتاج الجبر من القدر والقضاء، استنتاج خاطئ، بل القول بهما يؤكد الاختيار على خلاف ما يستنتجه القائلون بالجبر. وإليك توضيح المقام فانّه يطلق القضاء والقدر على معنيين: ______________

۱ – شرح المواقف:۸/۱۸۰ـ۱۸۱. (۴۶)

المعنى الأوّل للقضاء والقدر ۱ القضاء والقدر: السنن الكونیة یُطلق القضاء والقدر ویراد بهما السنن الكونیة الواردة فی الكتاب والسنّة السائدة علی الكون عامّة، والإنسان خاصة وبید الإنسان مفتاح التظلّل تحت أی سنّة من السنن، ونذكر من هذه السنن، الشیء القلیل من الكثیر: ۱. قال سبحانه حاكیاً عن شیخ الأنبیاء نوح ـ علیه السّلام ـ : (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُم إِنَّهُ كانَ غَفّاراً * یُرْسِلِ السَّماءَ عَلَیْكُمْ مِدراراً * وَیُمْدِدْكُمْ بِأَمْوال وَبَنینَ وَیَجْعَلْ لَكُمْ جَنّات وَیَجْعَلْ (۴۷) لَكُمْ أَنْهاراً).(۱) فترى أنّ نوحاً ـ علیه السّلام ـ یجعل الاستغفار سبباً مؤثراً فی نزول المطر وكثرة الأموال وجریان الأنهار، ووفرة الأولاد. وإنكار تأثیر الاستغفار فی هذه الكائنات أشبه بكلمات الملاحدة. وموقف الاستغفار هنا موقف العلّة التامّة أو المقتضی بالنسبة إلیها، والآیة تهدف إلی أنّ الرجوع إلی اللّه وإقامة دینه وأحكامه، یسوق المجتمع إلی النظر والعدل والقسط، إذ فی ظلّه تنصبّ القوى علی بناء المجتمع علی أساس صحیح، فتُصرف القوى فی العمران والزراعة وسائر مجالات المصالح الاقتصادیة العامّة ;كما أنّ العمل علی خلاف هذه السنّة، وهو رجوع المجتمع عن اللّه وعن الطهارة فی القلب والعمل، ینتج خلاف ذلك. وللمجتمع الخیار فی التمسّك بأهداب أیّة من السُّنتین، فالكلّ قضاء اللّه وتقدیره. فمن تمسّك بالأُولى فقد ________________

۱ – نوح:۱۰ـ۱۲. (۴۸)

تمسّك بقضاء اللّه، كما أنّ مَنْ تمسّك بالثانیة فقد تمسّك به أیضاً. ۲. قال سبحانه: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَاتَّقَوا لَفَتَحْنَا عَلَیْهِمْ بَرَكات مِنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ وَلكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْناهُمْ بِمَا كانُوا یَكْسِبُونَ).(۱) ۳. قال سبحانه: (إِنَّ اللّه لا یُغَیِّرُ ما بِقَوم حَتّى یُغَیِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ).(۲) ۴. قال سبحانه: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ یَكُ مُغَیِّراً نِعْمَةً أَنْعَمها عَلى قَوْم حَتّى یُغَیِّروا ما بِأَنْفُسِهِم).(۳) والتقریر فی مورد هذه الآیات الثلاث مثله فی الآیة السابقة علیها وللإنسان الخیار فی الأخذ بأیّة من السنّتین. ۵. وقال سبحانه: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِیدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابی لَشَدید).(۴) ترى أنّ الآیة تتكفّل ببیان كلا طرفی السنّة الإلهیة إیجاباً وسلباً، وتُبیّن النتیجة المترتّبة علی كلّ واحد منهما. والكلّ ________________

۱ – الأعراف:۹۶.

۲ – الرعد:۱۱.

۳ – الأنفال:۵۳.

۴ – إبراهیم:۷. (۴۹)

قضاؤه وتقدیره والخیار فی سلوكهما للمجتمع. ۶. وقال سبحانه: (وَمَنْ یَتَّقِ اللّهَ یَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَیَرْزُقْهُ مِنْ حَیْثُ لاَ یَحْتَسِب).(۱) ۷. وقال سبحانه: (یُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِینَ آمَنُوا بِالقَولِ الثّابِتِ فِی الحَیاةِ الدُّنیا وَفِی الآخِرَةِ وَیُضِلُّ اللّهُ الظّالِمین وَیَفْعَلُ اللّهُ ما یَشاء).(۲) فالمجتمع المؤمن باللّه وكتابه وسنّة رسوله إیماناً راسخاً یثبته اللّه سبحانه فی الحیاة الدنیا وفی الآخرة، كما أنّ الظالم والعادل عن اللّه سبحانه یخذله سبحانه ولا یوفّقه إلی شیء من مراتب معرفته وهدایته. ولأجل ذلك یُرتِّب علی تلك الآیة قوله: (أَلَمْ تَرَ إِلى الَّذِینَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَومَهُمْ دارَ الْبَوارِ * جَهَنَّمَ یَصْلَونَها وَبِئْسَ الْقَرار).(۳) ۸. وقال سبحانه: (وَلَقَدْ كَتَبْنا فِی الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ

---

۱ – الطلاق:۲ـ۳.

۲ – إبراهیم:۲۷.

۳ – إبراهیم:۲۸ـ ۲۹. (۵۰) الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ یَرِثُها عِبادِیَ الصّالِحُون).(۱) فالصالحون لأجل تحلّیهم بالصلاح فی العقیدة والعمل، یغلبون الظالمین وتكون السیادة لهم، والذلّة والخذلان لمخالفیهم. ۹. وقال سبحانه: (وَعَدَ اللّهُ الَّذِینَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَیَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِی الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَیُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِینَهُمُ الَّذِی ارْتَضَى لَهُمْ وَلَیُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدْ خَوْفِهِمْ أَمْناً یَعْبُدُونَنی

لَا يُشْرِكُونَ بِی شَیْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِکَ فَأُولئِکَ هُمُ الْفاسِقُون).(۲) فالاستخلاف فی الأرض نتیجهٔ الإیمان باللّه والعمل الصالح وإقامهٔ دینه علی وجه التمام، ویترتّب علیه ـ وراء الاستخلاف ـ ما ذکره فی الآیهٔ من التمکین وتبدیل الخوف بالأمن. ۱۰. وقال سبحانه: (أَفَلَمْ یَسِیرُوا فِی الأَرْضِ فَیَنْظُرُوا ـــــــــــــــــــــ

۱ – الأنبیاء:۱۰۵.

۲ – النور:۵۵. (۵۱) کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ الّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللّهُ عَلَیْهِمْ وَلِلْکافِرینَ أَمْثالُها).(۱) والآیات الواردهٔ حول الأمر بالسیر فی الأرض والاعتبار بما جری علی الأُمم السالفهٔ لأجل عتوّهم وتکذیبهم رسل اللّه سبحانه، کثیرهٔ فی القرآن الکریم، تبیّن سنّته السائدهٔ علی الأُمم جمعاء. ۱۱. وقال سبحانه: (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِکُمْ سُنَنٌ فَسِیرُوا فِی الأَرْض فَانْظُرُوا کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ المُکَذِّبین).(۲) ۱۲. وقال سبحانه: (یا أَیُّها الَّذِینَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللّهَ یَجْعَلْ لَکُمْ فُرقاناً وَیُکَفِّرْ عَنْکُمْ سَیِّئاتِکُمْ وَیَغْفِرُ لَکُمْ وَاللّهُ ذُو الفَضْلِ العَظیم).(۳) ۱۳. وقال سبحانه: (مَا یُجادِلُ فی آیاتِ اللّهِ إِلاّ الَّذِینَ کَفَرُوا فَلَا یَغْرُرْکَ تَقَلُّبُهُمْ فِی البَلاد * کَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ ـــــــــــــــــــــ

۱ – محمد:۱۰.

۲ – الأنفال:۲۹.

۳ – آل عمران:۱۳۷. (۵۲) نُوح وَالأَحْزابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ کُلُّ أُمّهٔ بِرَسُولِهِمْ لِیَأْخُذُوهُ وَجادَلُوا بالبَاطِلِ لِیُدْحِضُوا بِهِ الحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَکَیْفَ کانَ عِقابِ * وَکَذلِکَ حَقَّتْ کَلِمَهُ رَبِّکَ عَلَی الَّذِینَ کَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحابُ النّار).(۱) والآیهٔ من أثبت الآیات المبیّنهٔ لسنته تعالی فی الذین کفروا، فلا یصلح للمؤمن أن یغرّه تقلّبهم فی البلاد، وعلیه أن ینظر فی عاقبهٔ أمرهم کقوم نوح والأحزاب من بعدهم، حتّی یقف علی أنّ للباطل جولهٔ وللحقّ دولهٔ، وانّ مردّ الکافرین إلی الهلاک والدمار کما أنّ مردّ المؤمنین إلی الجنهٔ، والإنسان مخیّر بین التظلّل تحت أی واحد منهما. ۱۴. وقال سبحانه: (وَأَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ أَیْمانِهِمْ لَئِنْ جاءَهُمْ نَذِیرٌ لَیَکُونُنَّ أَهدَی مِنْ إِحدَی الأُمَمِ فَلَمّا جاءَهُمْ نَذیرٌ ما زادَهُمْ إِلاّـ نُفُوراً * اسْتِکْباراً فی الأَرْض وَمَکْرَ السَّیِّء ولا یَحیقُ المَکْرُ السَّیِّئ إِلاّ بِأَهْلِهِ فَهَلْ یَنْظُرُونَ إِلاّ سُنَّتَ الأَوّلینَ

---

۱ – غافر:۴ـ۶. (۵۳) فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللّهِ تَبْدِیلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللّهِ تَحْویلاً).(۱) وما ذکرنا من الآیات نبذهٔ من السنن الإلهیّهٔ السائدهٔ علی الفرد والمجتمع. وفی وسع الباحث أن یتدبّر فی آیات الکتاب العزیز حتّی یقف علی سننه تعالی وقوانینه، ثمّ یرجع إلی تاریخ الأُمم وأحوالها فیُصدِّق قوله سبحانه: (فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللّهِ تَبْدِیلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللّهِ تَحْویلاً). فالجمیع من قضائه وقدره، وللبشر أن یتظلل بأی واحد منهما شاء...ولیس فی القول بالقضاء والقدر بهذا المعنی، رائحهٔ الجبر، بل فیها تأکید للاختیار. هذا هو المعنی الأوّل لهما وإلیک المعنی الثانی. ـــــــــــــــــــــ

۱ – فاطر:۴۲ـ۴۳. (۵۴) المعنی الثانی للقضاء والقدر ۲ علمه الأزلی بتحقّق الشیء مع خصوصیاته المراد من القدر هو علمه سبحانه بالأزل بحد الشیء وخصوصیات وجوده وحدوده، کما أنّ المراد من القضاء هو علمه بتحقّقه ووجوده، وهذا ما یسمّی بالتقدیر والقضاء العلمیّین. وربما یتوهّم انّ دخول فعل الإنسان فی اطار القدر والقضاء یوجب سلب الاختیار عن الإنسان، لأنّه سبحانه یعلم فی الأزل فعل الإنسان حسب ما له من الخصوصیات، ویعلم تحقّقه فی المستقبل، فإذا کان فعل الإنسان معلوماً للّه (۵۵)

سبحانه تقدیراً وقضاءً فلا یبقی له الاختیار. علی هامش الشبههٔ إنّ علمه الأزلی لم یتعلّق بصدور کلّ فعل عن فاعله علی وجه الإطلاق، بل تعلّق علمه بصدور کلّ فعل عن فاعله حسب الخصوصیات الموجودهٔ فیه، وعلی ضوء ذلک تعلّق علمه الأزلی بصدور الحرارهٔ من النار علی وجه الجبر بلا شعور، کما تعلّق علمه الأزلی بصدور الرعشهٔ من المرتعش، عالماً بلا اختیار، ولکن تعلّق علمه سبحانه بصدور فعل الإنسان الاختیاری منه بقید الاختیار والحریهٔ، فتعلّق علمه بوجود الإنسان وکونه فاعلاً مختاراً، وصدور فعله عنه اختیاراً، یؤکّد الاختیار ویدفع الجبر عن ساحهٔ الإنسان. وإن شئت قلت: إنّ العلّهٔ إذا کانت عالمهٔ شاعرهٔ، ومریدهٔ ومختارهٔ کالإنسان، فقد تعلّق علمه بصدور أفعالها منها بتلک الخصوصیات، وانصباغ فعلها بصبغهٔ الاختیار والحریهٔ. فلو صدر فعل الإنسان منه بهذه الکیفیهٔ لکان (۵۶)

علمه مطابقـاً للواقع غير متخلّف عنه ;وأمّا لو صـدر فعله عنه فى هـذا المجال عن جبر واضـطرار بلا علم وشـعور، أو بلا اختيار وإرادة، فعند ذلك يتخلّف علمه عن الواقع. ونقول توضيحاً لذلك: إنّ الأعمال الصادرة من الإنسان على قسمين: قسم يصدر منه بلا شعور ولا إرادة، كأعمال الجهاز الدمويّ، والجهاز المعوىّ، وجهاز القلب، والأحشاء، التى تتسم فى أفعال الإنسان بسمة الأعمال الاضطرارية، غير الاختياريـة ;وقسم آخر يصـدر منه عن إرادة واختيار، ويتّسم بسـمة الأعمال الاختيارية غير الاضـطرارية، كدراسـته، وكتابته، وتجارته، وزراعته. ولمّـا كـان علم اللّه تعالى تعبيراً عن الواقع على نحو لا يتخلّف عنه قيـدَ شـعرة، فيتعلّق علم اللّه بأفعال الإنسان على ما هى عليه من الخصائص والألوان. فتكون النتيجة أنّه سـبحانه يعلم من الأزل صدور فعل معين فى لحظة معيّنة من إنسان معيّن إمّا بالاضـطرار، أو الإكراه، أو بالاختيار والحرية، وتعلّق مثل هذا العلم لا يُنتج الجبر، بل يلازم الاختيار. ولو (٥٧)

صدر كلّ قسم على خلاف ما اتّسم به لكان ذلك تخلّفاً عن الواقع. ولمّا كان الموضوع ممّا ضلّ فيه كثير من الأفهام، وزلّت أقدام غير واحـد من البـاحثين، نـدرس الموضوع على وجه التفصـيل، ونرفع النقاب عن وجه الواقع، بـذكر بعض الأمثلـة: ١. إذا كـان تعلّق العلم بالفعـل سالباً للاختيار وموجباً للجبر يلزم أن يكون سـبحانه ـ نعوذ باللّه ـ فاعلاً بالجبر، لعلمه بفعله قبل إيجاده، واللّه سـبحانه هو الفاعل المختـار لا يخضع لشـىء. ٢. انّ المعلم الـذى يمـارس التـدريس، بإمكـانه التنبّؤ بنتائـج الامتحان الـذى سـيقام لتلاميـذه آخر الفصـل الدراسى، حيث يستطيع أن يميز بين الناجح منهم والراسب وتكون نتيجة الامتحان وفق ما تنبّأ به، أفيصح للراسب فى الامتحان أن يلقى وزر ذلك على عهدة معلمه؟! فإنّ علم المعلّم وصّاف كشّاف يحكى عن الواقع ولا (٥٨)

يؤثّر عليه وإنّما المؤثر على الواقع مؤهّلات التلميـذ وسـعيه وكـدحه. ٣. انّ علمه سـبحانه لا يتعلّق بالمسـبّب بما هو مسبّب وإنّما يتعلّق بضم المسبّب إلى أسـبابه والنتائـج إلى مقـدّماتها، فـإذا كان السـبب والمقدمـة أمراً اختيارياً، فأولى أن يكون المسـبب كـذلك. كلمة للشـيخ الغزالى حولَ استنتاج الجبر من العلم الإلهى وللشيخ محمد الغزالى كلمة فى نقد انّ العلم الإلهى يسلب الاختيار، يقول: إنّ عامّة المسـلمين يطوون أنفسـهم على مـا يُشبه عقيـدة الجبر ولكنّهم حيـاءً من اللّه يسترون الجبر باختيار خافت موهوم، وقـد أسـهمت بعض المرويات فى تكوين هذه الشبهة وتمكينها، وكانت بالتالى سبباً فى إفساد الفكر الإسلامى وانهيار الحضارة والمجتمع . إنّ العلم الإلهى المحيط بكلّ شىء وصّاف، كشاف، يصف ما كان، ويكشف ما يكون، والكتاب الدالّ عليه (٥٩)

يسجّل للواقع وحسب! لاـ يجعـل السـماء أرضـاً ولا الجماد حيواناً، إنّه صورة تطابق الأصل بلا زيادة ولا نقص ولا أثر لها فى سـلب أو إيجاب. إنّ هذه الأوهام(التقدير سالب للاختيار) تكذيب للقرآن والسنّة، فنحن بجهدنا وكدحنا ننجو أو نهلك، والقول بأنّ كتاباً سبق علينا بذلك وأنّه لاحيلة لنا بازاء ما كتب أزلاً هذا كلّه تضليل وإفك، لقوله تعالى: (قَدْ جاءَكُمْ بَصائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْها).(١) (وَقُلِ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُر).(٢) والواقع انّ عقيـدة الجبر تطويـح بالوحى كلّه وتزييف للنشـاط الإنسانى من بـدء الخلق إلى قيام الساعـة، بل هى تكـذيب للّه والمرسـلين قاطبـة، ومن ثمّ فإنّنا نتناول بحـذر شديـد ما جاء فى حديث مسلم وغيره: انّ أحدكم ليعمل بعمل أهل ——————

١ – الأنعام:١٠۴.

٢ – الكهف:٢٩. (۶٠)

الجنـة حتّى ما يكون بينه و بينها إلاّ ذراع فيسـبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار، فيـدخلها، وإنّ أحدكم ليعمل بعمل أهل النار...». إلى أن قال: وكلّ ميل بعقيـدة القـدر إلى الجبر فهو تخريب متعمّد لدين اللّه ودنيا الناس، وقد رأيت بعض النقلة والكاتبين يهوّنون من الإـرادة البشـرية ومن أثرهـا فى حاضـر المرء ومسـتقبله وكـأنّهم يقولون للنـاس أنتم محكومون بعلم سابق لا فكاك منه ومسوقون إلى مصـير لا دخل لكم فيه، فاجهـدوا جهـدكم فلن تخرجوا من الخط المرسوم لكم مهما بـذلتم. إنّ هـذا الكلام الردىء ليس نضـح قراءة واعية لكتـاب ربنـا، ولا اقتـداء دقيقـاً بسـنّـة نبينا انّه تخليط قد جنينا منه المرّ. وكل أثر مروى يشغب على حرية الإرادة البشرية فى صنع المستقبل الأُخروى يجب أن لا نلتفت إليه، فحقائق الدين الثابتة بالعقل والنقل لا يهدّها حديث واهى السند أو (۶١)

معلول المتن، لكنّنا مهما نوّهنا بالإرادة الإنسانية فلا تنسى انّنا داخل سفينة يتقاذفها بحر الحياة بين مد وجزر وصعود وهبوط، والسفينة تحكمها الأمواج، ولا تحْكم الأمواجَ، ويعنى هذا انّ نُلْزم موقفاً محدداً بازاء الأوضاع المتغيرة التى تمرّ بنا هذا الموقف من صنعنا وبه نحاسب.(۱) ______________

۱ – السنّة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث للشيخ الغزالى:۱۴۴ـ ۱۵۷. (۶۲) الشبهة الثالثة الهداية والضلالة بيد اللّه دلّت الآيات القرآنية على أنّ الهداية والضلالة بيده سبحانه، فهو يضلّ من يشاء و يهدى من يشاء، فإذا كان أمر الهداية مرتبطاً بمشيئته، فلا يكون للعبد دور لا ـ فى الهداية ولا فى الضلالة، فالضال يعصى بلا اختيار، والمهتدى يطيع كذلك وهذا بالجبر، أشبه منه بالاختيار. قال سبحانه: (وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُول إلاّ ـ بِلِسانِ قَومِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدى مَنْ يَشاءُ وَ هُوَ العَزيزُ (۶۳) الحَكيم).(۱) فإذا كانت الهداية والضلالة بيد اللّه سبحانه فما معنى الاختيار؟ على هامش الشبهة هذه هى الشبهة أو الاستدلال على القول بالجبر ولكن الإجابة عليها ليست أمراً مشكلاً بشرط أن نقف على أنّ الهداية على أقسام، ونميز الهداية العامّة التى عليها تبتنى مسألة الجبر والاختيار والهداية الخاصة التى مفتاحها بيد الإنسان، وإليك التفصيل: ۱. الهداية التكوينية العامّة والمراد منها خلق كلّ شىء وتجهيزه بما يهديه إلى الغاية التى خلق لها: قال سبحانه حاكياً كلام النبى موسى ـ عليه السَّلام ـ :(قالَ رَبُّنا الّذى أَعطى كلَّ شَىء خَلْقَهُ ثُمَّ

---

۱ – إبراهيم:۴. (۶۴) هَدى)(۱)، وجهز كلّ موجود بجهاز يوصله إلى الكمال، فالنبات مجهّز بأدقّ الأجهزة التى توصله فى ظروف خاصة إلى تفتح طاقاته، فالحبة المستورة تحت الأرض ترعاها أجهزة داخلية وعوامل خارجية كالماء والنور إلى أن تصير شجرة مثمرة، ومثله الحيوان والإنسان فهذه الهداية عامة لجميع الأشياء ليس فيها تبعيض وتمييز. قال سبحانه : (سَبِّح اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلى * الَّذِى خَلَقَ فَسَوّى * وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدى).(۲) وقال سبحانه: (أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَينَين * وَلِساناً وشَفَتين * وهَديناهُ النّجْدَيْن).(۳) وقال سبحانه: (وَنَفْس وَمَا سَوّاها * فَأَلهَمها فُجُورَهَا وَتَقْواها).(۴) إلى غير ذلك من الآيات الواردة حول الهداية التكوينية التى تنبع من ذات الشىء بما أودع اللّه فيها من الأجهزة ______________

۱ – طه:۵۰.

۲ – الأعلى:۱ـ۳.

۳ – البلد:۸ـ۱۰.

۴ – الشمس:۷ـ۸. (۶۵)

والالهامات التى توصله إلى الغاية المنشودة من غير فرق بين المؤمن و الكافر، فقوله سبحانه عام يعمّ مجموع البشر مؤمنه وكافره(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّين حَنِيفاً فِطرَت اللّه الّتى فَطَرَ النّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّهِ ذلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَر النّاسِ لا يَعْلَمُونَ).(۱) ففطرة كلّ إنسان تهديه إلى التوحيد ونبذ الشرك، ومن أجهزة الهداية التكوينية، العقل الموهوب للإنسان المرشد له إلى معالم الخير والصلاح.وهذا النوع من الهداية العامة لكلّ موجود فضلاً عن الإنسان . ۲. الهداية التشريعية العامّة المقصود من الهداية العامة التشريعية هو بعث الأنبياء وإرسال الرسل وإنزال الكتب لهداية الناس، وهذا الفرع من الهداية يشمل عامّة البشر ، ولا يختص بطائفة دون أُخرى، قال سبحانه: ______________

۱ – الروم:۳۰. (۶۶) (لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنَا بِالبَيِّناتِ وَأَرْسَلْنا مَعَهُمُ الكِتابَ وَالمِيزانَ لِيَقُومَ النّاسُ بِالْقِسْطِ).(۱) فالآية بظاهرها تثبت الهداية العامة لكافة البشر. ۳. الهداية الخاصة وهناك هداية خاصة تختص بجملة من الأفراد الذين استضاءوا بنور الهداية العامة، تكوينيّاً وتشريعيّها فيقعون مورداً للعناية الإلهية ، فمن اقتفى أثر الأنبياء وعمل بكتابهم يصلح لأن تشمله هداية خاصة وهو تسديده فى مزالق الحياة إلى سبيل النجاة. كما أنّ من لم يستضئ بنور الهداية التشريعية العامة يحرم من تلك الهداية الخاصّة، وهذا النوع من الهداية بيد اللّه تعالى وإليه يشير قوله سبحانه:(ولكن يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ ______________

۱ – الحديد:۲۵. (۶۷) وَيَهْدى مَنْ يَشاءُ وَلَتُسْئَلُنَّ عَمّا كُنْتُمْ تَعْمَلُون)(۱). ولكن شموله لطائفة دون أخرى ليس اعتباطياً، بل تشمل من استضاء بالهدايتين الأُوليين فتعمه هذه الهداية الخاصة، كما أنّ من أعرض عنهما يحرم منها وتكون النتيجة خذلانه فى الحياة، وهذا النوع من الهداية تابع لملاكات خاصة (۲) فيشير إليها سبحانه عند البحث عنهما، يقول: ۱. (إنّ اللّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاء وَيَهْدِى إليهِ مَنْ أَناب). فهذه الهداية هداية تشريعية خاصة ولا تشمل إلاّ من وُصف بالانابة والتوجّه إلى اللّه كما يقول(وَيهْدى إليهِ مَنْ أَناب)، وبما ذكرنا يتّضح معنى كثير من الآيات الباحثة عن الهداية ويصفها بأنّها بيد اللّه يضلّ ويهدى، ولكن يهدى من اكتسب لنفسه أهلية خاصة لشمولها ويحرم منها من حرم نفسه عن الهدايتين الأُوليين، وإليك باقى الآيات: ________________

۱ – النحل:۹۳.

۲ – وهذه الملاكات كما تشير إليها الآيات التالية عبارة عن الإنابة ، والجهاد والاهتداء فى أمر الهداية ومقابلاتها فى أمر الضلالة. (۶۸) وقال سبحانه: (اللّهُ يَجْتَبى إليهِ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدى إليهِ مَنْ يُنيبُ).(۱) وقال سبحانه: (والّذينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا وَإنَّ اللّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنينَ)(۲) فمن أراد وجه اللّه سبحانه يمدّه بالهداية إلى سبله. وقال سبحانه:(والَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً).(۳) وقال سبحانه: (إنَّهُمْ فِتْيةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً * وَرَبَطْنا عَلى قُلُوبِهِمْ إذْ قامُوا فَقَالُوا رَبُّنا رَبُّ السَّمواتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَا مِنْ دُونِهِ إلهاً لَقَدْ قُلْنا إذاً شَطَطاً).(۴) وكما أنّه علق الهداية هنا على من جعل نفسه فى مهبِّ العناية الخاصّة، علّق الضلالة فى كثير من الآيات على صفات تشعر باستحقاقه الضلال وبمعنى الحرمان من الهداية الخاصة. ________________

۱ – الشورى:۱۳.

۲ – العنكبوت:۶۹.

۳ – محمد:۱۷.

۴ – الكهف:۱۳و ۱۴. (۶۹) قال سبحانه: (وَاللّهُ لا يَهْدِى القَومَ الظّالِمين).(۱) وقال سبحانه: (وَيُضِلُّ اللّهُ الظّالِمينَ وَيَفْعلُ اللّهُ مَا يَشاءُ).(۲) وقال سبحانه: (وَما يُضِلُّ بِهِ إلاّ الْفاسِقينَ).(۳) وقال سبحانه: (إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً * إلاّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ).(۴) وقال سبحانه: (فَلَمّا زَاغُوا أزاغَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللّهُ لا يَهْدى الْقَومَ الفَاسِقين).(۵) فالمراد من الإضلال هو عدم الهداية لأجل عدم استحقاق العناية والتوفيق الخاص، لأنّهم كانوا ظالمين وفاسقين. كافرين ومنحرفين عن الحقّ. وبالمراجعة إلى الآيات الواردة حول الهداية والضلالة يظهر أنّه سبحانه لم ينسب فى ________________

۱ – الجمعة:۵.

۲ – إبراهيم:۲۷.

۳ – البقرة:۲۶.

۴ – النساء: ۱۶۸و ۱۶۹.

۵ – الصف:۵. (۷۰)

كلامه إلى نفسه إضلالاً إلاّ ما كان مسبوقاً بظلم من العبد أو فسق أو كفر أو تكذيب ونظائرها التى استوجبت قطع العناية الخاصة وحرمانه منها. إذا عرفت ما ذكرنا، تقف على أنّ الهداية العامة التى بها تناط مسألة الجبر والإختيار، عامة شاملة لجميع الأفراد، ففى وسع كلّ إنسان أن يهتدى بهداها. وأمّا الهداية الخاصة والعناية الزائدة فتختص بطائفة المنيبين والمستفيدين من الهداية الأُولى. فما جاء فى كلام المستدل من الآيات من تعليق الهداية والضلالة على مشيئته سبحانه ناظرٌ إلى القسم الثانى لا الأوّل. أمّا القسم الأوّل فلأنّ المشيئة الإلهية تعلقت على عمومها بكلّ مكلّف بل بكل إنسان، وأمّا الهداية الخاصة فقد تعلقت مشيئته بشمولها لصنف دون صنف ولم تكن مشيئته، مشيئة جزافية، بل الملاك فى شمولها لصنف خاص هو قابليته لأن تنزل عليه تلك الهداية، لأنّه قد استفاد من (۷۱) الهدايتين: التكوينية والتشريعية العامتين، فاستحق بذلك العناية الزائدة. كما أنّ عدم شمولها لصنف خاص ما هو إلاّ لأجل اتصافهم

بصفات رديئة لا يستحقون معها تلك العناية الزائدة. ولأجل ذلك نرى أنّه سبحانه بعد ما يقول: (فَيُضِلَّ اللّه مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِى مَنْ يَشاءُ)، يذيّله بقوله: (وَهُوَ العَزِيزُ الحَكيمُ)(۱)، مشعراً بأنّ الإضلال والهداية كانا على وفاق الحكمة، فهذا استحقّ الإضلال وذاك استحق الهداية. ________

۱ – إبراهيم:۴. (۷۲)

۵ – هل الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان؟

۵ – هل الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان؟ إنّ الإيمان بالقدر من المعارف القرآنية وقد ورد في غير واحد من الآيات. قال سبحانه: (انّا كلَّ شَىْء خَلَقْناهُ بِقَدَر).(۱) و قال عزّ اسمه: (وَخَلَقَ كُلَّ شَىء فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً).(۲) فالكون و ما فيه، خُلِق عن علم وتقدير، فقُدِّر كلّ ________

۱ – القمر:۴۹.

۲ – الفرقان:۲. (۷۳)

شيء بما له من الصفات والخصوصيات، والمقادير والأشكال قبل وقوعها، وسُجِّل ذلك في كتاب خاص، قال سبحانه: (وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقالِ ذَرَّة فِى الأَرْضِ وَلاَ فِى السَّماءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرَ إلاّ فِى كِتاب مُبين).(۱) وقال عزّ شأنه: (وما تسقُطُ مِنْ وَرَقَة إلاّ يَعْلَمُها وَلاَ حَبَّة فى ظُلُماتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْب وَلاَ يابِس إلاّ فى كِتاب مُبين).(۲) وقال في المصائب التي تحدث في الأرض وما يواجهه الإنسان من خير و شر:(مَا أَصابَ مِنْ مُصِيبَة فِى الأَرْضِ وَلاَ فِى أَنْفُسِكُمْ إلاّ فى كتاب مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها إنَّ ذلِكَ عَلى اللّهِ يَسير).(۳) فالمصائب قدرت من حيث الخصوصيات وقضى عليها بالوجود، في كتاب قبل أن يُخلق الكون وما فيه. لكن الكلام في أنّ الإيمان بالقدر هل هو ركن من ________

۱ – يونس:۶۱.

۲ – الأنعام:۵۹.

۳ – الحديد:۲۲. (۷۴)

الأركان ، كما عليه أكثر أهل السنّة فيكون الإيمان به في جنب الإيمان باللّه وكتبه ورسله، ويوم ميعاده، أو هو أصل ومعرفة قرآنية كسائر المعارف الواردة في الكتاب العزيز؟ والظاهر هو الثاني، وأمّا الأوّل فلا دليل عليه، إذ كون شيء معدوداً من المعارف القرآنية غير كونه ركناً من أركان الإيمان، إذ رب معرفة وردت في القرآن، وليست ركناً من الإيمان، كالحياة البرزخية، والشفاعة، والتوبة، ومع ذلك فليست من أركان الإيمان. ولو كان ركناً من الأركان لجاءت الإشارة إليه في ثنايا الآيات المشيرة إلى أركان الإيمان كقوله سبحانه: (ولكنّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَاليَوم الآخِرِ وَالمَلائِكَةِ وَالكِتابِ وَالنَّبِيِّين).(۱) وقال تعالى: (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِليهِ مِنْ رَبِّهِ وَالمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلائِكتهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ ________

۱ – البقرة:۱۷۷. (۷۵) أَحَد مِنْ رُسُلِهِ وَقالُوا سَمِعْنا وَأَطَعْنا غُفْرانَكَ رَبَّنا وَإِليكَ الْمَصير).(۱) فقد جاء فيهما أركان الإيمان وهي الإيمان باللّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ولم ترد فيهما أية إشارة إلى الإيمان بالقدر، فلو كانت له هذه المنزلة، لما أهملها الذكر الحكيم. وأظنّ انّ الغلو في القدر جاء من قبل الأحبار والرهبان، وعدّ من أركان الإيمان في عصر الأمويين، وقد أحصى الأحاديث الواردة فيه ابن الوزير اليمني(۲). فبلغت ۲۲۷ حديثاً، منها ۷۲ حديثاً في وجوب الإيمان بالأقدار، و۱۵۵ حديثاً في ثبوتها.(۳) وقد تفلسف بعضهم في عدّه من أركان الإيمان من أنّ الإيمان بالقدر داخل ضمناً في الإيمان باللّه، بل جزء حقيقي

____

۱ – البقرة:۲۸۵.

۲ – تقرأ ترجمة ضافيه له فی كتابنا «الزيدية فی موكب التاريخ».

۳ – نقله عنه مؤلّف الإيمان بالقدر. (۷۶)

منه ، لأنّ معناه الإيمان باحاطة علم اللّه تعالی بكلّ شیء وشمول إرادته لكلّ ما يقع من الكون ونفوذ قدرته فی كلّ.(۱) أقول: لو كان السرّ فی عدّه من أركان الإيمان، كونه تعبيراً آخر عن إحاطة علمه وشمول إرادته لكلّ شیء، فلما ذا عدل عن المعنی الواضح إلی المعنی المبهم الذی لا يتقل إلی ما ذكره إلاّ العلماء. فمقتضی البلاغة أن تُعدّ إحاطة علمه وشمول إرادته لكلّ شیء من أركان الإيمان. ومن قرأ تاريخ نشوء فكرة القدر، وانتشاره بين المحدّثين، يقف علی أنّ إكبار القدر وجعله من أركان الإيمان، كان سياسة أموية، لأجل تبكيت الناس وكبح جماحهم، والحط من مظاهراتهم أمام أعمال السلطة، ولا أظن أنّ معبد الجهنی، وغيلان الدمشقی، كانا ينكران سعة علمه، أو إرادته سبحانه حتّی ذهب الثانی ضحّية جهاده، ومكافحته مع الظالمين وقُتل بفتوی فقيه السلطة «الأوزاعی».

---

۱ – الإيمان بالقدر:۹. (۷۷)

۶– التفويض ومضاعفاته

۶– التفويض ومضاعفاته لما كانت السلطة الأُموية مروّجة للقدر والقضاء بالمعنی السالب للاختيار وكان ذلك مخالفاً للفطرة الإنسانية وقضاء العقل وسيرة العقلاء، قام رجال أحرار فی وجه هذه العقيدة يركّزون علی القول بحرية الإنسان فی إطار حياته ولكنّ السلطة اتّهمتهم بنفی القضاء والقدر ثمّ وضعت السيوف علی رقاب بعضهم. هذا هو معبد الجهنی اتّهموه بنفی القدر فذهب إلی الحسن البصری فقال له: إنّ بنی أُميّة يسفكون الدماء ويقولون إنّما تجری أعمالنا علی قدر اللّه تعالی، فقال: كذب (۷۸)

أعداء اللّه .(۱) ومثله غيلان الدمشقی فقد اُتّهم بنفس ما اُتهّم به معبد الجهنی فقد جاهر بمذهبه أيام هشام بن عبد الملك وأُحضِر الأوزاعی لمناظرته فأفتی بقتله فصُلب علی باب كيسان بدمشق.(۲) ولا أظن انّ الرجلين كانا ينكران القضاء والقدر، إذ كيف يمكن لمسلم أن ينكر أصلاً قرآنياً يعد من المعارف العليا للقرآن الكريم، وإنّما كانا ينكران تبرير ظلم الظالمين وتعدّی الجائرين، بالقضاء والقدر. نعم صار ذلك سبباً بعد فترة من الزمن لظهور نظرية التفويض التی تدّعی تفويض الأُمور إلی العباد وانّه ليس للّه سبحانه أیّ صنع فی أفعالهم فجعلوا الإنسان خالقاً لأفعاله، مستغنياً عن اللّه سبحانه فی ايجاد أفعاله، فصار الإنسان علی ——————

۱ – الخطط المقريزية:۲/۳۵۶.

۲ – الملل والنحل للشهرستانی:۱/۴۷. (۷۹)

حسب هذه النظرية كالإله فی مجال الأفعال كما كان القضاء والقدر عند الجبريّين حاكماً علی كلّ شیء ولا يمكن تغييره إلی صورة أُخری من الصور، فالطرفان يحيدان عن جادة التوحيد ويميلان إلی جانبی الإفراط والتفريط. وإليك نقد النظرية علی وجه الإيجاز: ۱. القول بالتفويض يلازم الشرك إنّ القول بالتفويض يلازم الشرك الخفی، أی الاعتقاد بوجود خالقين مستقلّين فی الخلق والإيجاد: أحدهما العلّة العليا التی خلقت الموجودات والكائنات والإنسان، والأُخری الإنسان نفسه فإنّه يستقل بعد الخلقة فی أفعاله وتنقطع حاجته إلی اللّه بعد وجوده وهو نفس تصوير المِثْل للّه سبحانه. ۲. الإنسان فی دوّامة الحدوث إنّ الموجود الطبيعی فی النظرة الأُولی له حدوث وبقاء (۸۰)

ولكنّه فی النظرة الدقيقة كلّه حدوث بعد حدوث، لأنّ مقتضی الحركة الجوهرية هو كون العالم فی تبدل مستمر وتجدّد دائم، بأعراضها وجواهرها، فذوات الأشياء فی تجدد واندثار متواصل، وما أشبه العالم بالصورة المنعكسة فی الماء الجاری، فهی ثابتة فی النظرة الأُولی، ولكنّها فی النظرة الدقيقة متعددة متبدّلة حسب تبدّل الماء وقال سبحانه: (وَتَرَی الجِبالَ تَحْسَبُهَا جَامِدةً وَهِی تَمرُّ مَرَّ السَّحابِ).(۱) وبما أنّ المروی عن المفوضة انّ الإنسان محتاج إلی اللّه فی حدوثه لا فی بقائه، ولذلك قالوا باستغنائه فی الفعل عنه

تعالی، فلیبین موقف الوجود الإمکانی إلی الواجب تبارک وتعالی حتّی یتبیّن حاجته إلیه حدوثاً و بقاءً ونأتی بمثال: انّ مثل الموجودات الإمکانیهٔ بالنسبهٔ إلی الواجب کمثل المصباح الکهربائی المضیء فالحس الخاطئ یزعم انّ الضوء المنبعث من هذا المصباح هو استمرار للضوء الأوّل، ______________

۱ – النمل:۸۸. (۸۱)

ویتصور انّ المصباح إنّما یحتاج إلی المولّد الکهربائی فی حدوث الضوء دون استمراره. والحال انّ المصباح فاقد للإضاءهٔ فی مقام الذات محتاج فی ضوئها إلی ذلک المولّد فی کلّ لحظهٔ، لأنّ الضوء المتلألئ من المصباح إنّما هو استضاءهٔ بعد استضاءهٔ واستنارهٔ بعد استنارهٔ من المولد الکهربائی. فینطفئ المصباح إذا انقطع الاتصال بینه و بین المولد، فالعالم یشبه هذا المصباح الکهربائی تماماً فهو لکونه فاقداً للوجود بالذات یحتاج إلی العلّهٔ(الواجب الوجود) فی حدوثه وبقائه، لأنّه یأخذ الوجود ـ عنه تعالی ـ آناً بعد آن وزماناً بعد زمان. فإذا کان هذا حال الفاعل وذاته، فکیف حال الفعل فالإنسان المحتاج إلی الواجب فی کلّ آن، محتاج إلیه فی الفعل والإیجاد، لأنّ الفعل رهن الذات وموقوف علیها، والذات فی کلّ آن رهن العلّهٔ العلیا وموقوفهٔ علیها، فینتج انّ الفعل رهن العلّهٔ العلیا وموقوف علیها. (۸۲)

۷– الأمر بین الأمرین

۷– الأمر بین الأمرین کان الرأی السائد فی المسألهٔ أحد الرأیین، إمّا الجبر، وإمّا التفویض ;وبذلک ضلّ القائلون إمّا فی متاهات الجبر أو بوقوعهم فی حبال الشرک. ثمّ إنّ الداعی لاختیار أحد المذهبین هو انّ القائلین بالجبر زعموا أنّ صیانهٔ التوحید فی الخالقیهٔ (لا خالق ولا مؤثر إلاّ اللّه سبحانه) رهن القول بالجبر، فلو قلنا بالاختیار یلزم أن یکون الإنسان خالقاً لفعله، جاعلًا لعمله وهو ینافی التوحید الأفعالی الذی یعبّر عنه بالتوحید فی الخالقیهٔ. کما أنّ القائلین بالتفویض زعموا أنّ صیانهٔ عدله (۸۳)

سبحانه وتنزیهه عن الظلم والتعدّی، رهن القول بالتفویض وتصویر انّ الإنسان فاعل مختار مستغن فی فعله عن الواجب سبحانه بل محتاج فی حدوثه إلی اللّه لا فی بقائه فکیف فی فعله؟ وعلی کلّ تقدیر فالجبری یعتقد بانقطاع فعل الإنسان عنه، وانّه فعل اللّه تماماً من دون أن یکون له صلهٔ بالفاعل إلاّ کونه ظرفاً لفعل الخالق. والقائل بالتفویض یعکس الأمر ویعتقد بانقطاع نسبهٔ الفعل إلی الخالق، وکونه مخلوقاً للإنسان تماماً من دون أن یکون هناک صلهٔ بین فعله وخالق الکون. فالطائفهٔ الأُولی یحسبون أنّهم بالقول بالجبر یرفعون رایهٔ التوحید فی الخالقیهٔ، کما أنّ الطائفهٔ الثانیهٔ یزعمون أنّهم بالقول بالتفویض ینزهون الرب عن کلّ عیب وشین. کان الرأیان سائدین ولکن أئمّهٔ أهل البیت ضربوا علی وجه الرأیین وقالوا: إنّ موقف الإنسان بالنسبهٔ إلی اللّه غیر (۸۴)

موقف الجبر المشوِّه لسُمعهٔ المذهب، وغیر موقف التفویض المُلْحِق للإنسان بمکان الشرک، بل موقفه أمر واقع بین الأمرین. إنّ صیانهٔ التوحید فی الخالقیهٔ لیس منوطاً بالقول بالجبر، أو صیانهٔ عدله وقسطه لیس منحصراً بالقول بالتفویض، بل یمکن الجمع بین الرأیین برأی ثالث، وهو انّ الإنسان ذاته وفعله قائمان بذاته سبحانه، و بذلک لا یصحّ فصل فعل الإنسان عنه سبحانه لافتراض قیامهما وعامهٔ العوالم بوجوده سبحانه. وفی الوقت نفسه انّ فعله غیر منقطع عنه، وذلک لأنّ مشیئهٔ اللّه تعلّقت بنظام قائم علی أسباب ومسببات، وصدور کلّ مسبب (فعل الإنسان) عن سببه وهو الإنسان، فلا یصحّ فصل المسبّب عن سببه، فالنتیجهٔ هو انّ لفعل الإنسان صلهٔ باللّه وصلهٔ بسببه، وهذا هو الأمر بین الأمرین. نحن نعتقد بالتوحید فی الخالقیهٔ الذی یعبر عنه بالتوحید الأفعالی، ولکن لا بمعنی إنکار العلل والأسباب (۸۵)

وإنکار الروابط بین الظواهر الکونیهٔ و نفی أیّ سبب ظلّی یعمل بإذنه سبحانه، فإنّ إلغاء الأسباب مخالف للضرورهٔ والوجدان والذکر الحکیم. بل بمعنی انّ العوالم الحسیّهٔ والغیبیّهٔ بذواتها وأفعالها قائمهٔ به سبحانه، وکما انّ تأثیرها وسببیّتها بإذنه ومشیئته، فکلّ ظاهرهٔ کونیهٔ لها نسبهٔ إلی أسبابها، کما أنّ لها نسبهٔ إلی خالق أسبابها، فإلغاء کلّ سبب وعلّهٔ، ونسبهٔ الظاهرهٔ إلی ذاته سبحانه، غفلهٔ عن

تقديره سبحانه لكلّ شيء سبباً، كما أنّ نسبة الفعل إلى السبب القريب وفصله عن اللّه سبحانه غفلة عن واقع السبب وانّه بوجوده وأثره قائم باللّه سبحانه، فكيف يمكن فصل أثره عنه تعالى؟! ولأجل إيضاح الموضوع نقول: إنّ الأسباب الطبيعية على أقسام: ١. سبب مؤثر ـ بإذن اللّه ـ فاقد للشعور. ٢. سبب مؤثر ـ بإذن اللّه ـ واجد للشعور، لكن فاقد للاختيار كحركة المرتعش. (٨۶) ٣. سبب مؤثر ـ بإذن اللّه ـ واجد للشعور والاختيار كتحريك الإنسان ليده. فالحرارة تصدر من النار بإذنه سبحانه بلا شعور. وحركة يد المرتعش تصدر منه مع علم الفاعل بلا اختيار. والأفعال التى يُثاب بها الإنسان أو يعاقب وبها تناط سعادته وشقاوه يوم القيامة تصدر منه عن علم واختيار، كلّ ذلك بإذنه ومشيئته. فلا القول بالتوحيد الأفعالى (لا مؤثر ولا خالق إلّا هو) يصادم الاختيار، لأنّ حصر الخالقية المستقلّة باللّه لا ينافى نسبة الخالقية غير المستقلة وغير النابعة من ذاته إلى الإنسان، ولا القول بالاختيار يزاحم سلطانه وقدرته، فالفعل فعل الإنسان، لأنّه السبب القريب وفى الوقت نفسه منسوب إليه سبحانه لكونه السبب البعيد(١) الذى أوجد الإنسان وأفاض عليه ________________

١ – قد استخدمنا«السبب البعيد» لأجل تقريب المطلب، وإلّا فالواقع فوق ذلك. (٨٧)

القدرة وزوّده بالاختيار. هذا بيان موجز لهذا القول الموروث من أئمّة أهل البيت واستقبل المفكّرون من أهل السنّة هذه الفكرة، كالإمام الرازى و الشيخ عبده فى رسالة التوحيد، لمّا رأوا انّ فى القول بالجبر الأشعرى مضاعفات لا تحتمل، وقد شاع ذلك القول بين المفكّرين المصريّين فى العصر الأخير لما تأثّروا بالأفكار الغربية المروّجة للحرية والاختيار. وتتجلّى قيمة هذا المذهب ببيان برهانه العقلى أوّلاً وتحليل ما يدلّ عليه من الذكر الحكيم ثانياً، والأحاديث الصحيحة ثالثاً. ١. نسبة الفعل إلى اللّه بالتسبيب وإلى العبد بالمباشرة إنّ نسبة فعل العبد إلى اللّه بالتسبيب وإلى العبد بالمباشرة، فإنّ اللّه سبحانه وهب الوجود والحياة والعلم والقدرة لعباده وجعلها فى اختيارهم، وانّ العبد هو الذى (٨٨)

يصرف الموهوب فى أى مورد شاء فيُنسب الفعل إلى اللّه تعالى لكونه مفيضَ الأسباب، وإلى العبد لكونه هو الذى يصرفها فى أى مورد شاء.وهناك مثال يبين حال النظريات الثلاث: الجبر، والتفويض، والأمر بين الأمرين. لو فرضنا شخصاً مرتعش اليد، فاقد القدرة، فإذا ربط رجل بيده المرتعشة سيفاً قاطعاً وهو يعلم انّ السيف المشدود فى يده سيقع على آخر ويُهلكه، فإذا وقع السيف وقتله، ينسب القتل إلى من ربط يده بالسيف، دون صاحب اليد الذى كان مسلوب القدرة فى حفظ يده. ولو فرضنا أنّ رجلًا أعطى سيفاً لمن يملك حركة يده وتنفيذ إرادته فقتل هو به رجلًا، فالأمر على العكس، فالقتل ينسب إلى المباشر دون من أعطى. ولكن لو فرضنا شخصاً مشلول اليد (لا مرتعشها) غير قادر على الحركة إلّا بإيصال رجل آخر التيار الكهربائى إليه ليبعث فى عضلاته قوّة ونشاطاً بحيث يكون رأس السلك (٨٩)

الكهربائى بيد الرجل بحيث لو رفع يده فى آن ، انقطعت القوة عن جسم هذا الشخص فى الحال وأصبح عاجزاً. فلو أوصل الرجل تلك القوة إلى جسم هذا الشخص، فذهب باختياره وقتل إنساناً، والرجل يعلم بما فعله، ففى مثل ذلك يستند الفعل إلى كلّ منهما، أمّا إلى المباشر فلأنّه قد فعل باختياره وإعمال قدرته، وأمّا إلى الموصل فلأنّه أقدره وأعطاه التمكّن، حتّى فى حال الفعل والاشتغال بالقتل، كان متمكناً من قطع القوة عنه فى كلّ آن شاء وأراد. فالجبرى يمثّل فعل العبد بالنسبة إلى اللّه تعالى كالمثال الأوّل، حيث إنّ اليد المرتعشة فاقدة للاختيار ومضطرة إلى الإهلاك. كما أنّ التفويضى يمثّل نسبة فعله إليه كالمثال الثانى، فهو يصور أنّ العبد يحتاج إلى إفاضة القدرة والحياة منه سبحانه حدوثاً لا بقاءً والعلّة الأُولى كافية فى بقاء القدرة فيه إلى نهاية المطاف، كما أنّه كان الأمر فى المثال كذلك، فكان الإنسان محتاجاً إلى رجل آخر فى أخذ السيف، وبعد الحصول (٩٠)

عليه انقطعت حاجته إلى المعطى. والقائل بالأمر بين الأمرين يصوّر النسبة كالمثال الثالث، فالإنسان فى كلّ حال يحتاج إلى إفاضة القوة والحياة منه إليه بحيث لو قُطع الفيض فى آن واحد بطلت الحياة والقدرة، فهو حين الفعل يفعل بقوة مفاضة منه وحياة كذلك من غير فرق بين الحدوث والبقاء . والحاصل إنّ للفعل الصادر من العبد نسبتين واقعيتين، إحداهما: نسبته إلى فاعله بالمباشرة باعتبار صدوره منه باختياره وإعمال قدرته ;وثانيتهما: نسبته إلى اللّه تعالى باعتبار أنّه معطى الحياة والقدرة فى كلّ آن وبصورة مستمرة حتى

فى آن اشتغاله بالعمل.(١) وهناك مثال آخر ذكره شيخنا المفيد، فقال: نفترض انّ مولى من الموالى العرفيّين يختار عبداً من عبيده ويزوّجه إحدى فتياته ثمّ يقطع له قطيعة ويخصه بدار ــــــــــــــــــــــــ

١ – المحاضرات:٢/٨٧ـ٨٨ ;أجود التقريرات: ١/٩٠. (٩١)

وأثاث وغير ذلك ممّا يحتاج إليه الإنسان فى حياته إلى حين محدود ولأجل مسمّى. فإن قلنا إنّ المولى وإن أعطى لعبده ما أعطى وملّكه ما ملك، لكنّه لا يملك، وأين العبد من الملك؟ كان ذلك قول المجبرة. وإن قلنا: إنّ المولى بإعطائه المال لعبده وتمليكه، جعله مالكاً وانعزل هو عن المالكية وكان المالك هو العبدُ، كان ذلك قول المعتزلة. ولو جمعنا بين الملكين بحفظ المرتبتين، وقلنا:إنّ المولى مقامه فى المولوية، وللعبد مقامه فى الرقية، وانّ العبد يملك فى ملك المولى، فالمولى مالك فى حين انّ العبد مالك، فهنا ملك على ملك. كان ذلك القول الحق الذى رآه أهل البيت ـ عليهم السَّلام ـ وقام عليه البرهان.(١) وفى بعض الروايات إشارات واضحة إلى الأمر بين ــــــــــــــــــــــــ

١ – الميزان:١/١٠٠. (٩٢)

الأمرين. روى الصدوق فى توحيده عن النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ قال: «قال اللّه عزّ وجلّ: يا ابن آدم بمشيئتى كنت أنت الذى تشاء لنفسك ما تشاء، وبإرادتى كنت أنت الذى تريد لنفسك ما تريد».(١) ترى أنّه يجعل مشيئة العبد وإرادته تلوَ مشيئة اللّه سبحانه وإرادته، ولا ـ يعرّفهما مفصولتين عن اللّه سبحانه، بل الإرادة فى نفس الانتساب إلى العبد، لها نسبة إلى اللّه سبحانه. ٢. الأمر بين الأمرين فى الكتاب العزيز إذا كان معنى الأمر بين الأمرين هو وجود النسبتين فى فعل العبد: نسبة إلى اللّه سبحانه ونسبة إلى العبد من دون أن تزاحم إحدى النسبتين، النسبةَ الأُخرى، فقد قرره الكتاب العزيز ببيانات مختلفة: ــــــــــــــــــــــــ

١ – التوحيد:٣٤٠، باب المشيئة والإرادة، الحديث١٠. (٩٣) ١. انّه ربما ينسب الفعل إلى العبد وفى الوقت نفسه يسلبه عنه وينسبه إلى اللّه سبحانه، يقول: (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً إِنَّ اللّهَ سَميعٌ عَلِيمٌ).(١) ولا يصحّ هذا الإيجاب(إِذْ رَمَيْتَ) فى عين السلب(وما رَمَيْتَ) إلاّ على الوجه الذى ذكرنا،وهذا يعرب عن أنّ للفعل نسبتين وليست نسبتُه إلى العبد، كلَّ حقيقته وواقعه، وإلاّ ـ لم تصح نسبته إلى اللّه، كما أنّ نسبته إلى اللّه ليست خالصة (وإن كان قائماً به تماماً) بل لوجود العبد وإرادته تأثير فى طروء عناوين عليه. ٢. قال سبحانه: (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنين).(٢) ــــــــــــــــــــــــ

١ – الأنفال:١٧.

٢ – التوبة:١٤. (٩٤) فالظاهر انّ المراد من التعذيب هو القتل، لأنّ التعذيب الصادر من اللّه تعالى بأيدى المؤمنين ليس إلاّ ذاك، لا العذاب البرزخى ولا الأُخروى فانّهما راجعان إلى اللّه سبحانه دون المؤمنين، وعلى ذلك فقد نسب فعل واحد(التعذيب) إلى المؤمنين وخالقهم ولا تصح هاتان النسبتان إلاّ على هذا المنهج، وإلاّ ففى منهج الجبر لا تصح النسبة إلاّ إليه سبحانه. وفى منهج التفويض على العكس، والمنهج الذى يصحّح كلتا النسبتين هو منهج الأمر بين الأمرين. ٣. الأمر بين الأمرين فى الروايات لقد تضافرت الروايات عن أئمّة أهل البيت ـ عليهم السَّلام ـ فى فعل الإنسان فيما يثاب به ويعاقب عليه، بانّه أمر بين الأمرين، وقد جمع الصدوق القسم الأوفر من الروايات فى توحيده، والعلاّمة المجلسى فى بحاره، ونحن نذكر رواية واحدة ذكرها صاحب «تحف العقول» و هى مأخوذة عن (٩٥) رسالة كتبها الإمام الهادى ـ عليه السَّلام ـ فى نفى الجبر والتفويض، ومما جاء فيها: فأمّا الجبر الذى يلزم من دان به الخطأُ، فهو قول من زعم انّ اللّه عزّ وجلّ أجبر العباد على المعاصى وعاقبهم عليها، ومن قال بهذا القول فقد ظلم اللّه فى حكمه وكذّبه وردّ عليه قوله: (وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً)(١) وقوله: (ذَلِكَ بِمَا قَدَمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاّم لِلْعَبِيدِ)(٢) وقوله: (انّ اللّهَ لا يَظْلِمُ النّاسَ شَيئاً وَلَكِنَّ الناسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)(٣) فمن زعم انّه مجبر على المعاصى، فقد أحال بذنبه على اللّه، وقد ظلمه فى عقوبته، ومن ظلم اللّه فقد كذب كتابه، ومن كذب كتابه فقد لزمه الكفر بإجماع الأُمّة . ومن زعم انّ اللّه تعالى فوّض أمره ونهيه إلى عباده فقد ــــــــــــــــــــــــ

۱ – الكهف:۴۹.

۲ – الحج:۱۰.

۳ – يونس:۴۴. (۹۶)

أثبت عليه العجز . لكن نقول: إنّ اللّه عزّ وجلّ خلق الخلق بقدرته، وملّكهم استطاعة تعبّدهم بها، فأمرهم ونهاهم بما أراد، و هذا، هو القول بين القولين ليس بجبر ولا ـ تفويض. تمّ الكلام في مسألة الجبر والتفويض والأمر بين الأمرين صبيحة يوم الأحد في السادس والعشرين من ربيع الثاني من شهور عام ۱۴۲۳هـ جعفر السبحاني قم ـ مؤسسة الإمام الصادق ـ عليه السَّلام ـ

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنَادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذي" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذي قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبيّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، في سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لَم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّي الحاسوبيّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجي الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّي الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة في الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التي يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – في آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – في أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل في الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتي "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض في القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلميّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع "مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بنایة "القائمیّة "

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم – فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.


مرکز
القائمیة
اصفهان
للبحوث والتحریات الکمبیوتریة
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩